انتشار المسيحية في إنجلترا الأنجلو – سكسونية

أ.د. أسامة إبراهيم حسيب إبراهيم (*)

ولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أثناء عهد الإمبراطور أغسطس في بيت لحم بفلسطين، في وقت أخذ العالم الروماني يشعر بنوع من الفراغ والجدب الروحي، فالرومان أنفسهم بدءوا ينظرون إلي عبادة الدولة الرسمية وتقديس الأباطرة علي أنها أمور شكلية، مما دفع المتعلمين منهم بوجه خاص إلي الاستخفاف بالعقائد الدينية السائدة – سواء كانت يونانية أو رومانية الأصل – ومن ثم أخذ بعضهم يتجه نحو الآراء التي نادي بها الرواقيون[١]. ولكن حتي هذه التعاليم الرواقية أخذت هي الأخرى تبدو تدريجيا أضعف من أن تشبع الحاجة الروحية للمثقفين، نظراً لما امتازت به من تطرف في الجمود والمنطق، فضلا عن بعدها عن الأفاق السماوية [٢].

والحقيقة أن الديانات الوثنية قبل المسيحية، والتي كانت منتشرة في أرجاء الإمبراطورية لم تشبع رغبة الأهالي، ولم تهدئ من خلقهم الروحي، لأنهم رآوا فيها مجرد رموز شكلية لا تثير الحماس الديني، ومن هنا أخذوا يتطلعون إلي

(*) أستاذ تاريخ العصور الوسطى – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

[١] - الرواقية – Stoicism- هي أكثر الفلسفات رواجا وواقعية، ولها الغلبة علي سائر الفلسفات، لأنها تتفق مع الأخلاق والمثل الرومانية من الأقدام والرجولة، وسيطرة المرء علي نفسه وشهواته ومقاومة الظلم، وتحدي الطغاة، ومقابلة الموت بصدر رحب، وتجنب ما وراء الطبيعة، والحق أن الرومان كانوا رواقيين قبل أن يسمعوا عن المذهب الرواقي بزمن طويل. ويرجع المذهب الرواقي إلي مؤسسيه ذينون (٣٢٦- ٢٦٤ق.م)، والذي عاش في أثينا يعلم الناس، ودعي أصحابه الرواقيين، لأنه كان يتحدث إلي سامعيه في بهو عام ذي أعمدة هي السقيفة أو الروق SteA- والفضل يرجع إليه في تأسيس مدرسة للأخلاق، تختلف اختلافا بينا عن غيرها من المدارس، فأهم ما نادت به الرواقية مبدأ الأخوة بين البشر أجمعين، فالناس يجب أن يكونوا جميعا متساويين، لا فرق بين حر وعبد، وقد أثرت الرواقية في شعور الرومان علي مر العصور، أفاد منها المفكرون المسيحيون منذ القرن الثاني بما جاءت به من تفضيل القول في الفضائل الرذائل، وفي صفات الله في العناية الإلهية.

انظر في ذلك :-

- محمود الحويري : رؤية في سقوط الامبراطوية الرومانية ، صـ٥٣-٥٤، وليم وودثورب : الحضارة الهللينستية، ترجمة عبد العزيز جاويد، مراجعة زكي علي، القاهرة، ١٩٦٦، صـ٢٥٠ - ٢٥٦.

- Lyon Bryce & others, A History of western world ,vol .1, Second Edition , U.S.A , 1974, p.61 ; Stephenson , Med Hist., pp .51-52.

[٢] - سعيد عبد الفتاح عاشور:المرجع السابق، صـ٤٧.

- Stephenson, Med. Hist,pp.51-52, Glover T.R. , the Conflict of Religion in the Early Roman Empire, London , 1910 , p.155.

ديانة تخلصهم من أدران الخطيئة، وتعوضهم شقاء الحياة ومصاعبها، وكان أن وجدوا بغيتهم في الديانات الوافدة من الشرق، ومن أهم تلك الديانات الوافدة من الشرق ديانة الآم الكبري كيبيلي –Cybelle- من أسيا الصغرى وديانة ميثراث – Mithras- من فارس، وديانة إيزيس من مصر، وقد عرفت تلك الديانات الغامضة لأن طقوسها كانت سريه، بمعني أنه كان لابد من توفر شروط خاصة فيمن يريد اعتناقها، فإذا اجتاز مرحلة القبول أطلع علي أسرار طقوسها، ولا يجوز له أن يبوح بها لغيره رغم أن كل ديانة من تلك الديانات قد اختلفت في طقوسها وشعائرها عن الأخرى اختلافا واضحا، إلا أنها جميعا اشتركت في ملامح وسمات عامة أرضت حاجة المواطنين الروحية [١].

والحقيقة أنه لا يوجد محل للمقارنة بين المسيحية وغيرها من الديانات الوثنية الأخرى، فديانة ميثراس مثلا حرمت علي النساء مزاولة طقوسها، وقدست ديانتا كيبيلي وإيزيس النساء والأمومة علي حساب الآخرين . أما المسيحية فكانت للبشر أجمع، ولا شك أن قصة المسيح وحياته الرائعة فاقت في سموها وجمالها بقية القصص الدينية المعاصرة لها. ويكفي أن تعاليمه مستمدة من كتاب مقدس، فالمسيحية جاءت دينًا سماويًا عامًا دون أن تختص بطائفة أو تميز فريقا علي آخر. وأخذت تنتشر انتشارا حيثيا بحيث لم يكد ينتهي القرن الأول، إلا وكانت كل ولاية رومانية من الولايات المطلة علي البحر المتوسط تضم بين جوانبها جالية مسيحية كبيرة [٢].

ومع انتشارها في الولايات الرومانية بكرت المسيحية في الوصول إلي بريطانيا، وصلتها مباشرة من إيطاليا، وانتشرت انتشارا سريعا بعد أن اعتنقها الكلتيون، الذين ظلوا علي حالهم من المعيشة القبلية في الأجزاء الغربية من الجزيرة، وعن طريقهم زاعت المسيحية في بريطانيا، وقبل ذلك كانت الوثنية الكلتية هي السائدة بينهم في أشكال خاليه من فكرة الآلهة الغالب الواحد وصارت المسيحية عاملا من عوامل ربط الجزيرة بالدولة الرومانية. وأسهم البريطانيون في السياسة الدينية العامة للدولة بدليل اشتراك ثلاثة من الأساقفة البريطانيين – من بينهم أسقف يورك وأسقف لندن – في المجمع الديني الذي عقد بمدينة آرل – Arles - بجنوب فرنسا الحالية سنة ٣١٤م، وهو المجمع الذي قرر إخماد حركة الدوناتين المنسوبة إلي دوناتوس –Donatus- الروماني، القائل بوجوب تقديس الشهداء وأنزل اللعنة علي المرتدين علي المسيحية [٣].

---

[١] - محمود الحويري : المرجع السابق، صـ٤٩-٥٠.

- Painter ,op cit., pp. 11-12 ; Dill , op.cit., pp. 529-540.

[2] - Stephenson, Medieval Hist., pp. 42-43 ; Glover, op.cit., pp.33-74 ; painter, op.cit., p.11.

[٣] - نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، صـ٢٢.

ومن ذلك التاريخ بدأت حركة تنقل الأفراد والجماعات من المسيحيين الكلتيين بين الجزيرة، والقارة الأوربية. وشهدت تلك الحركة أول مرحلة من المراحل التبشيرية التي قامت بها المسيحية الكلتية، ومن رجالها ننيان – Ninian- الذي تلقي علومه في روما. ثم عاد إلي وطنه بريطانيا سنة ٤٠٠م، ثم رحل عنه لدعوة البكتيين إلى المسيحية وتنظيم التبشير بالبلاد الشمالية فيما وراء سور هادريان ومنهم القديس باتريك – St. Patrik- الذي بشر بالمسيحية في ايرالندا، وأسمه الأصلي سوكات – Sucat- ولد من أبوين مسيحيين في بريطانيا، ثم اختطفه القراصنة الأيرلنديون وهو صبي، وأخفوه مدة ست سنوات حتي استطاع الهرب في سفينة تجارية ذاهبة إلي غاليا (فرنسا)، حيث انتشر نظام الرهبنة المصرية بين الرجال والنساء علي الطريقة الباخومية، فالتحق سوكات بدير ليرنس –Lerins- وترهب، وأصبح حجة في الدين والرهبنة، وعرف من ذلك التاريخ باسم بتركيوس - patricus ورقي ٤٣٢م، إلي رتبة الأسقف، وأرسل فى بعثه تبشيرية إلي أيرلندا، حيث نجح في إذاعة المسيحية بين الأيرلنديين المتوحشين[١]. وذلك علي الرغم من أن المسيحية كانت معروفة للايرلنديين قبل ذلك الوقت، بدليل أن البابا كالستين الأول (٤٢٢-٤٣٢م) أرسل سنة ٤٣١م، مبعوثا اسمه بلاديوس إلي أيرلندا ليكون أول أسقف لها[٢]، إلا أن القديس باترك صاحب الفضل الأول في انتشار المسيحية والديريه في أيرلندا، وخرجت منها البعثات التبشيرية إلي شمال إنجلترا وغرب أوربا في الفترة ما بين القرنيين السادس والثامن، وتوفي باتريك سنة ٤٦١م، وصار بأعماله شخصية ذات أهمية أوروبية. أما القديس ايلتد فتتلمذ علي يد القديس جرمانوس، وتزعم البعوث التبشيرية في بريطانيا سنة ٤٢٩م و ٤٤٧م، وهو مؤسس الديرية ببلاد الغال ومعلم المبشرين الذين دلت عليهم أثارهم الباقية بالجنوب الغربي من بريطانيا [٣].

وخلال عمليات انتشار المسيحية والتبشير كان هناك اضطهاد واسع للمسيحيين، وواصل أشده في عهد الإمبراطور دقلديانوس، ففي إنجلترا كان القديس إلبنز –St.Albans – أول الشهداء ويحكي أن القديس إلبنز كان وثنيا، تأثر بشدة بورع القس المسيحي الذي اختبأ في منزله إلي أن آمن إلبنز نفسه بالمسيحية، وعندما علم الحاكم الشرير بوجود القس المسيحي، أمر القاضي

Davis , The British isles from the Earliest Times to the Med .Ages " in B.H, vol.II,p.3502 .

[١] - نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، صـ٢٢-٢٣.

[2]- Adams .G.B., The History of England from the Norman conquest to the Death of john (1066-1216), London, 1805, vol.1, p.232.

[٣] - رواس : المرجع السابق ، صـ١٨ .

- Cam.Med .Hist. ,vol.1, p.533.

بإلقاء القبض عليه، حيث أرتدي إلبنز الملابس الكهنوتيه الخاصة بالقس، وقدم ألبنز للمحاكمة أمام القاضي وعندما تم إحضار إلبنز أمام القاضي، كان القاضي واقفا أمام مذابح الشيطان ويقدم الأضاحي لهم، وما أن رأي القاضي إلبنز حتي بدا عليه الغضب بشكل مفاجئ، لأن ألبنز تجاسر عن طواعية وسلم نفسه للشرطة وعرض نفسه للخطر لمصلحة الضيف الذي أواه في منزله وأمر الجنود أن يسحبوا إلبنز أرضا أمام تماثيل الشياطين، والتي كان يقف عندها القاضي، وقال القاضي: "لقد قمت بإخفاء شخص متمرد ومنتهك لحرمة معتقداتنا الدينية، بدلا من تسلمه إلي جنودنا، حتي يلقي العقاب المستحق لخروجه علي تعاليم ديننا بتسفيهه الهتنا، ومن ثم فإنك ستلقى العقاب الذي تستحقه، إذا ما حولت أن تتخلي عن عبادتنا وعن ديننا"[١].

وعندما رفض إلبنز الاستسلام قال له القاضي: "ما هي أسرتك ؟ وما هو أصلك ونسبك ؟ فأجاب إلبنز " ما يعنيك من معرفة أصلي ونسبي ؟ " وإذا ما رغبت في معرفة الحقيقة عن ديني، فأعلم أنني أؤمن بالمسيحية، وأني علي استعداد بان أقوم بواجبي المسيحي وقال القاضي : " أني مصر علي معرفة أسمك، وعليك أن تنطق علي الفور ثم قال إلبنز "سماني والدي إلبنز وسأظل مؤمنا وعابدا لله الحي الحق خالق كل شئ". فرد عليه القاضي بغضب شديد: " وإذا رغبت في حياة سعيدة ورغدة، عليك بتقديم الأضاحي الإلهية القوية. فرد إلبنز " أن الأضاحي التي تقدمونها للشياطين، لا يمكن أن تعمل علي مساعدة العابدين لها أو تحقيق أمانيهم وتوسلاتهم وتضرعاتهم " وعلي العكس من ذلك فإن من يقدم الأضحيات إلي تلك التماثيل يلقي العقاب الأبدي، وفي نار جهنم جزاءا له "، وعندما سمع القاضي ذلك الرد، أمر بضرب البنز ضربا مبرحا، عله يضعف أمام العقاب، وبرغم ذلك العقاب القاسي تحمل البنز بصبر وثبات تمسكا بعبادة الله. ولما أدرك القاضي أن البنز لم يتأثر بالعقاب، ولم يتزحزح عن الإيمان المسيحي أمر بإعدام البنز شنقا[٢].

وكان المكان المعد لإعدام إلبنز في موضع يحتاج الأمر فيه إلي عبور نهر للوصول إليه، غير أن الراغبين في مشاهدة عملية الإعدام تجمهروا فوق الجسر عبر النهر، مما جعل من المستحيل علي إلبنز والشخص المكلف بإعدامه عبور الجسر، ومن ثم " أقترب القديس البنز من النهر ورفع عيناه إلي السماء، لأنه كانت لديه الرغبة الملحة في أن ينال نعمة الاستشهاد . فجفت المياه علي الفور

[١] - جوزيف داهموس : المرجع السابق ، صـ٦٢ .

- Bede's Ecclesiastical History of English people , vol (i-2) ,pp. 21-22.

[2]- Bede's Ecclesiastical History of English people, vol (i-2) p. 22.

في المكان نفسه، وشاهد البنز المياه وهي تنحسر تاركة خلفها ممرا ليسر عليه[١].

ووفقا لرواية المؤرخ الإنجليزي – بيده- زينت الطبيعة مكان الإعدام علي نحو حقيقي، يتناسب مع شهيد ممجد". ويقع هذا التل علي بعد خمسمائة خطوة من المنطقة، وكان التل مكسواً من كل جانب بالأزهار البرية من كل نوع ويمتد علي نحو ممهد سطح السهل علي نحو متآلف وجميل، وفي الواقع أن الجمال الطبيعي للتل كان مناسبا لان تحل عليه البركة بدماء شهيد مقدس، وعندما وصل القديس إلبنز إلي قمة التل، سأل الله أن يعطيه ماء فتفجر ينبوع المياه على الفور من تحت قدميه حتى من شاهد ذلك أدرك أن المياه كانت رهن إشارته. وهكذا قطعت رقبة الشهيد الشجاع في ذلك المكان وتسلم تاج الحياة، الذي وعد به الله كل من أحبه. بيد أن الشخص الذي أطبق يده الدنسة حول رقبة القديس إلبنز لم ينعم بالحياة، لأن رقبة القديس المبارك سقطت علي الأرض ومعها من أعدمه "[٢]، وأختتم – بيده – روايته عن تلك الحادثة، بذكر أن القاضي أمر بوقف عمليات التعذيب واضطهاد المسيحيين لأنه كان مندهشا لهذه المعجزات الربانية التي لم يشاهد مثيلا لها " وفيما بعد، وعندما ساد التسامح مع المسيحيين " أقيمت كنيسة فخمة تتناسب مع استشهاد القديس إلبنز. وحتي يومنا هذا يذهب المرضي للشفاء، ويزيد من شهرتها استمرار المعجزات التي تتكرر حينا بعد حين [٣].

ومع ذلك فلم تكد تتوقف عملية اضطهاد المسيحيين، وينتصر التسامح مع المسيحيين، حتي أطلت الآراء الدينية المسيحية التي تتعارض مع الإيمان المسيحي المتفق عليه أي " الهرطقة بوجهها القبيح"، وأشار – بيده – إلي الخبل الأريوسي الذي أضل كل أنحاء العالم، بل ما احتوت تلك الآراء الهدامة علي ضلال وإضلال، " وكانت هناك أراء أشد خطورة علي إنجلترا لانتشارها الكبير وهي الآراء الدينية " التي نشرها بيلاجيوس البريطاني –Briton Pelagius- حيث نشر آراء هدامة ومضلله في كل مكان، وأنكر حاجتنا إلي النعمة المقدسة. وتصدي القديس اوغسطس –Augustine- وباقي الآباء الأرثوذكس لتلك الضلالة بالاستشهاد بعد آلاف من النصوص الكاثوليكية، بيد أنهم فشلوا في تصحيح مسار هؤلاء الضالين، والأسوأ من ذلك أن هذه الضلالة التي برأ الشعب منها بالعودة إلي الحق، وازدادت حدتها بفعل التعنيف والتناقض [٤].

وكانت البعثات التبشيرية هي السلاح الوحيد لانتشار المسيحية، فقد اتجه الأيرلنديون في القرن السادس نحو إرسال الرهبان إلي بريطانيا، وكان قائدهم في

---

[1]-- Bede's Ecclesiastical History of English people, vol (i-2) p. 22.

[2]- Bede's Ecclesiastical History of English people, vol (i-2) ,pp. 22-23.

[٣] - جوزيف داهموس : المرجع السابق ، صـ٦٣.

[4]- Bede's Ecclesiastical History of the English people vol (i-2) ,pp. 29-32.

ذلك القديس كولمبا – St. Columba- الذي استطاع مد نفوذه التبشيري إلي إنجلترا, واستطاع القضاء إلي حد ما علي وثنية الأنجلوسكسون بعد أن تعرضت بلادهم لغزو المبشرين الأيرلنديين من الشمال والرومان من الجنوب، وكان من أعظم المبشرين الأيرلنديين القديس كولمبانوس –Columbanus - (٥٤٣-٦١٥م) الذي نزح مع أربعين من أعوانه في عام ٥٨٥م، إلي بريطانيا ومنها إلي غاليا، حيث أسس ديرًا شهيرًا عند أناجريت –Angrates- سنة ٥٩١م، واجتذب كثيرا من الراغبين في الحياة الديرية[١].

ولم يشارك القديسين الايرلنديين في حلبة التبشير إلا من خلال البابا جريجوري الكبير[٢] (٥٩٠-٦١٠م)، ولم يشتهر أحد منهم بمقدره أو كفاية إلا في ميدان السياسة لا الدين. ومع هذا استطاعت كنيسة روما أن تقدم من النصوص والأسانيد ما يكفي لإقناع الناس بزعامتها في ذلك العهد، حين كان الناس يؤمنون ويسلمون بكل ما هو تقليدي أو خارق، وبكل ما من شأنه التدليل علي المجد الروماني القديم. إذا قيل – اعتماد علي حديث للمسيح مخاطبا سمعان بن يونا باسم بطرس لأول مرة، وذلك في شئ من الجناس والتورية " أنت بطرس، وعلي هذه الصخرة PetrA- ابني كنيستي، أن المسيح اصطفي بطرس وفضله علي الرسل، وأن بطرس أول من جاء بالمسيحية الي روما، ولقي من الأذى ما لقي في سبيل المسيحية [٣].

---

[1]- Com. Med. Hist., vol.1, pp. 533-534.

[٢] - جريجوري الأول ولد في روما سنة ٥٤٠م لأسرة عريقة من النبلاء، ولكنه اظهر منذ حداثته نزعه دينية قوية فاستغل الثروة الطائلة التي ورثها عن أهله في تأسيس ستة أديره في صقلية ودير سابع في روما، ولم يلبث أن استقال من المنصب الكبير الذي عينه فيه الإمبراطور جستين الثاني، ووزع ما لديه من مال علي الفقراء والمحتاجين، مفضلا الانقطاع للحياة الديرية. وعندما أجمع رجال الدين علي اختياره لمنصب البابوية سنة ٥٩٠م – علي الرغم من تمنعه الشديد ومن الصفات التي ظهرت عليه ولعه باللاهوت واعتقاده في المعجزات وحماسته للديرية، واتصف بالتواضع وأتخذ لنفسه لقب خادم خدام الرب Servue/ Servotumd /De – وظهرت شخصيته في النواحي السياسية والإدارية والتبشيرية، فحكومته في روما كانت أقرب إلي الدنيوية منها إلى الحكومة الدينية وتشهد رسائله في نهاية القرن السادس علي مدي دقته وكفايته الإدارية، وخاصة في إدارة الأملاك البابوية الواسعة، وجهوده في تنمية مواردها والإشراف علي إيراداتها واستغلها في مختلف الأغراض التي تعود علي أبناء العالم المسيحي بالخير، مثل فدية المسيحيين وتخفيف آلام المجاعات، وإنشاء المستشفيات للعناية بالمرضي والجرحي، وتدعيم الكنائس لأملاكها، وأظهر تمسكا بسيادة كرسيه علي بقية الكراسي الأسقفية في الشرق والغرب. انظر في ذلك :

- Dudden : Gregory the Great, His. place in Hist., vol 1. pp.120-240 ; com. Med. Hist., vol.2, pp. 200-240 ; Moss ,the Birth of the Middle Ages, oxford , 1947, pp. 132-133.

[٣] -فشر : المرجع السابق، صـ١٠٤-١٠٥، أنجيل متي الإصحاح السادس عشر، فقرة ١٨.

وعند اعتلاء جريجوري الأول كرسي البابوية، كانت البعثات التبشيرية الايرلندية تتوغل في شمال إنجلترا، محرزه السبق في تحويل الإنجليز الوثنيين إلي المسيحية، وهو ما كان جريجوري الأول يعتبره خطرا يهدد بحدوث انقسام بين الكنيسة الرومانية والكنيسة الكلتية، ونتيجة لتحدي الكنيسة الكتلية شعر جريجوري بضرورة تحويل إنجلترا إلي المسيحية، وكان طبيعيا ان يستخدم الرهبان البندكتية في الأعمال التبشيرية في إنجلترا باعتباره واحد منهم [١].

وكان البابا جريجوري أكثر البابوات شهره في إنجلترا، ولقد طلب رجال الدين المسيحي من البابا جريجوري بإلحاح أن يقدم شرحا لكتاب أيوب –Job- وتفسيراته الدينية، وهو الكتاب الذي اكتنفه غموض شديد، ولم يستطيع جريجوري أن يرفض ما ألزمه به إخوانه المؤمنون ولا سيما انه رأي احتمال أن يكون لعمله هذا فائدة كبري للكثيرين .وهكذا قام جريجوري بعرض تفسير لكتاب أيوب في خمسة وثلاثون كتيباً في طريقه رائعة للمعني الحرفي لكتاب أيوب، وما تضمنه من اتجاهات يحتم علي كل مؤمن الالتزام بها. وألف جريجوري كتاب أخر مشهورا وهو المهمة الرعاوية – pastroal Care، وعرض في هذا كتاب ما يجب أن يتم عند اختيار من يتولي أمر الكنيسة، وعن معيشة هؤلاء الحكام وعن درجة الحصافة وحسن التميز التي يجب أن يتحلوا بها، عندما يعلمون أنواعا مختلفة من المستمعين، وعن ضرورة العمل بكل جد واجتهاد لتجنب مواطن الزلل في نفوسهم. وألف جريجوري عظه دينية عن الأنجيل – Homilies on the Gospel- وأربعة كتب تحت عنوان محاورات –Dialogues- وفيها جمع كل الفضائل لأكثر القديسين شهره، عرفهم أو سمع عنهم في إيطاليا، بناء علي طلب شماسه بطرس، باعتبارهم قدوة حسنة لكل الأجيال القادمة. وكتب جريجوري أيضا كتابا احتوي علي اثنين وعشرين موعظة عن كيفية التمتع بالنور الروحي من خلال أشد جوانب شخصية حزقيال النبي غموضا[٢].

وكان اهتمام البابا جريجوري الكبير بتحويل بريطانيا إلي المسيحية يمثل التحدي الرئيسي له، ويذكر – بيده – هذه القصة : " يقال انه في يوم من الأيام وبمجرد وصول بعض التجار إلي روما، كانت كمية من السلع التجارية معروضة للبيع في السوق، واتت حشود من الناس لتشتري، وكان جريجوري الكبير من بينهم. وشاهد جريجوري بين السلع بعض الغلمان المعروضين للبيع ببشرتهم الشقراء، ووجوههم الوسيمة، وشعورهم الجميلة. ويقال أنه سأل عن الإقليم أو البلد الذي أتو منه بمجرد أن شاهدهم وبلغة أنهم أتوا من جزيرة بريطانيا، وأن كل

---

[1]- White lock: the Beginning of England society (the Anglo- Saxon period) penguin Books 1959 , pp.149-157.

[٢] - جوزيف داهموس : المرجع السابق ، صـ٦٨-٦٩.

- Dudden ,op.cit., pp.123-173 ; Bede's Ecclesiastical History of the English people ,vol (i-22) , pp. 77-79.

السكان مثلهم في الشكل وسأل جريجوري إذا ما كان سكان تلك الجزيرة قد أمنوا بالمسيحية أم أنهم مازالوا متورطين في آثام عبادة الأوثان، ثم قال بتنهيده عميقة: "واحسرتاه! أن يسيطر الضلال علي هؤلاء الناس أصحاب الوجوه الوضاءه ويعضهم في جعبته، وان يجعل قلوبهم خاليه من نعمة الروح الإلهية. في الوقت الذي ينعمون به بالخلقة الجميلة "وسأل مرة ثانية عن جنسهم وعرف انه يطلق عليهم الإنجليز[١]، فقال "حسنا أن لهم وجوه الملائكة، ويجب أن يكون هؤلاء القوم رفقاء للملائكة في ميراث الفردوس"[٢].

وعلي الفور أرسل البابا جريجوري الكبير تعليماته إلي القديس اوغسطين الصغير – St.Augustin - مقدم الدير الذي أنشأه البابا في روما – بالذهاب إلي إنجلترا سنة ٥٩٦م، علي رأس بعثه من تسعة وثلاثين راهباً ليعيدوها إلي حظيرة المسيحية، بعد أن ظلت خارجها ما يقرب من قرنيين نتيجة لغزوات الجوت الإنجليز والسكسون وهي الغزوات التي أدت إلي تحطيم الحضارة الرومانية وذبول المسيحية في بريطانيا. وفي سنة ٦٠١م طلب اوغسطين من البابا إمداده بعدد أخر من الرهبان لمساعدته في جهوده التبشيرية، فأمده البابا بمجموعة أخري من المبشرين البندكتيين[٣].

وكان من التعليمات التي بلغها جريجوري إلي اوغسطين تحذيره من القضاء التام علي كل الطقوس والشعائر الدينية الوثنية، إبان جهوده في تحويلهم للمسيحية. فلم يقيم اوغسطين بتحطيم معابد الأوثان "وإنما حطم الأوثان التي بها"، وقام أوغسطين ورفاقه برش الماء المقدس في تلك المعابد، وبناء المذابح، ووضعوا بها أثار القديسين والشهداء ..... وعندما وجد أفراد الشعب معابده كما هي، بدئوا يتخلصوا من عبادات الجهالة من قلوبهم، وآمنوا بعبادة الله الحق[٤].

ومن بين تعليمات البابا جريجوري الأول إلي أوغسطين كذلك بان يبدا نشاطه في مملكة كنت –Kent–جنوب شرق انجلترا الآن ملكها ايثلبرت Ethelbert كان معروفا بزواجه من أميرة إفرنجية مسيحية تدعي برتا – Barta – ، وكان لدي الملك الأنجلوسكسوني ورجال بلاطه إلمام سطحي ببعض جوانب الديانة المسيحية، ولكن رجال الدين في المملكة غير مؤهلين للقيام بهذه المهمة[٥].

---

[١] – Angl تشبه لفظتها Angles والتي تعني الملائكة .

[2] - Bede's Ecclesiastical History of English people, vol (i-7) p.32-33, white lock ,op.cit.,p.149

[٣] - نظير حسان سعداوي : المرجع السابق، صـ٣٧-٣٨.

- Dudden, op.cit., vol .2 , pp. 122-127.

[4]- Bede's Ecclesiastical History of the English people, vol (i-30) .p.107.

[5]- white lock ,op.cit., p.155.

- نورمان كانتور : المرجع السابق، صـ٢٧٤.

وعلي اية حال أحرزت بعثة أوغسطين تقدما ونجاحا عظيما في إنجلترا، حيث آمّن إيثلبرت بالمسيحية وكذلك نبلاؤه، وصار الملك صديقا حميما لأوغسطين، وأنزله بمدينة كانتربري عاصمة كنت، وأقام الكنيسة اللاتينية الأولي في هذه المدينة، وأصبح أوغسطين أول رئيس لأساقفة كانتربري (٥٩٧ - ٦٠٥م)، والمهم أن أهل كنت وسائر البلاد الجنوبية بالجزيرة حذو حذو ملكهم إيثلبرت، ثم تبعهم أهل نورثمبريا وأنجليا ومرسيا ووسكس، وصار الناس علي دين ملوكهم. وأنعم الملك علي رجال الكنيسة الجديدة بكثير من المنح والأرض، عدا مدينة لندن التي طردت بعض أعضاء البعثة ورفضت اعتناق المسيحية. وحتي الآن يتصدر رئيس أساقفة كانتربري الصدارة علي جميع أساقفة إنجلترا بما فيهم رئيس أساقفة لندن[١].

ونتيجة لذلك كتب البابا جريجوري الأول إلي يلجيوس – Eulogius– أسقف الإسكندرية في يوم الكريسماس من عام ٥٩٧م يخبره بأن ما يزيد علي عشرة آلاف من الإنجليز قد تم تعميدهم .وقد أعتنق الديانة المسيحية أيضا من الملوك الأنجلوسكسون ملك أسكس ابن أخت الملك إيثلبرت وجعل أحد القادمين الجدد من روما ويدعي ميليتوس – Mellitus- أسقفا لعاصمته لندن، وفي نفس الوقت أعلن ملك كنت القوانين الخاصة بوضع الكنيسة في المركز اللائق الذي يحقق هيبتها في مملكته، وبالرغم من هذا التأييد الملكي للديانة المسيحية (بتوجيه من البابا)، يمكن القول بأنه علي مدي خمسين عاما بعد وصول القديس أوغسطين إلي إنجلترا، لم يجرؤ ملك كنت علي محاولة تدمير معابد الديانة الوثنية في جميع أنحاء مملكته أو دعم الصوم الكبير، كما أخفقت محاولة الملك إيثلبرت لتحويل ريدوالد – Raedwald – ملك شرق أنجليا إلي الديانة المسيحية [٢].

وكان تعاون الملك إيثلبرت مع أوغسطين وجماعته التبشيرية له فاعلية وتأثيرات فاقت تعليمات البابا جريجوري في تنصير شعب كنت، وأن كان تعاطف هذا الملك نابع من زوجته ابنة ملك باريس التي كانت تؤمن بالمسيحية، وذكر – بيده- أن إيثلبرت لم يمارس ضغوطا قوية علي شعبه لقبول المعمودية، ومع ذلك فإنه أبدي مودة أكثر للذين أمنوا بالمسيحية باعتبارهم رفقاء له في مملكة السماء[٣].

---

[1]- Hodgkin. T., The History of England from the Earliest times to the Norman conquest , London , 1920, pp .177-179.

[٢] -زينب : عبد المجيد عبد القوي : دور إنجلترا في الحروب الصليبية (١١٨٩ -١٢٩١م)، رسالة ماجستير، ١٩٩٣، الزقازيق ، صـ١٧.

- Davis , England under the Normans Angevins , 1006-1272 , London ,1930 , p .23.

[3]- Bede's Ecclesiastical History of the English people , vol (i-30),p. 107.

واعتنق أدوين – Edwin- ملك نورثمبريا النصرانية، ونجح اودين في مد سلطته ونفوذه علي كل أنحاء بريطانيا، بالإضافة إلي جزيرتي إنجليز – Angles- ومان – Man- وعلي الرغم من أن أدوين كان وثنيا في بداية الأمر، فإنه تزوج من إثيلبورج –Ethiburgh- ابنة إيثلبرت ملك كنت السابق، ووعد بدراسة المسيحية بنفسه وبعدم التدخل عند ممارسة زوجته للشعائر المسيحية المخالفة للوثنية، وذهب الأسقف بولينوس –Poulinus- إلي نورثمبريا مع أثيلبورج الذي كان مكلفا برعاية الملكة ووصيفاتها بتقديم العظات الدينية اليومية، وإقامة القداس حتي لا تتأثر الملكة ومن معها بالمعتقدات الوثنية عن طريق التعامل مع الوثنيين، وكان هدف البابا في روما هو تنصير أكبر عدد من الوثنيين الإنجليز عن طريق المبشرين[١].

ولم يحرز الأسقف بولينوس سوي تقدم طفيف في تنصير الوثنين بالرغم من حماسته، ولم يكن له أي خط مع الملك نفسه، إلي أن تم إجهاض مخاوفه لاغتياله. ففي السنة التالية ذهب إلي نورثمبريا أحد القتلة ويدعي اومير – Eomer- الذي أرسله كويشلم – Cwichelm- ملك السكسون الغربيين علي آمل حرمان الملك من مملكته والقضاء عليه. وحمل هذا القاتل معه سيفا قصيرا له حدان وملطخان بالسم، ليضمن مقتل الملك بالسم في حالة عدم مقتله يصاب بجرح عميق، وذهب القاتل إلي قصر الملك تحت ذريعة تسليمه رسالة من سيدة , وفي الوقت الذي كان يعرض فيه رسالته المزعومة، وثب فجأه وأستل السيف من تحت عباءته، وهجم علي الملك وشاهد ذلك ليلا – Lilla– أحد أتباع الملك الإقطاعيين، بيد أنه لم يكن معه درع ليحمي الملك من الموت، لذلك ألقي بنفسه علي وجه السرعة علي الملك حتي يتلقي الضربة بجسده حماية للملك، وجرح الملك أيضا بعد أن أخترق السيف جسد ليلا. وأستلت السيوف من كل جانب، وتم القبض علي القاتل، ولكن بعد أن تمكن من قتل أحد أتباع الملك ويدعي فورتهير – Forthere- بسلاحه البشع [٢].

في اليوم الذي تعرضت فيه حياة الملك للخطر، أنجبت له زوجته ابنة، وما أن أقنع الأسقف بولينوس الملك ادوين أن زوجته أنجبت له الطفلة بسلام بفضل دعواته، حتي وعده الملك بالتخلي عن عبادة الأوثان واعتناق المسيحية، بيد أنه أنتظر حتي يأتيه نصر الرب بهزيمة السكسون الغربيين، الذين أرسلوا إليه مجرما لاغتياله. وبعد أن تحقق له النصر الذي تمناه ظل في حالة تردد، فكان عليه أن يأخذ رأي مستشاريه، ومن ثم دعاهم إلي الاجتماع به، وطلب من كل منهم أن يدلي بدلوه في رأيه عن الدين الجديد، فأجاب كويفي –coifi- كبير الكهنة علي

[1]- Bede's Ecclesiastical History of the English people ,vol (ii-1) ,pp. 127-128.

[٢] - جوزيف داهموس : المرجع السابق ، صـ٦٩-٧٠.

الفور : " سيدي الملك، تدبر بعناية هذا الدين الجديد الذي يعرض علينا، ومن ناحيتي فإني اعترف بكل صدق وصراحة أن الدين الذي نؤمن به ونتمسك به عاريا تماما من أي فعالية أو فائدة ، ولا يوجد أحد من رعيتك قد أخلص لعبادة آلهتنا أكثر مني، برغم وجود الكثيرين الذين نعموا بما أغدقته عليهم من خيرات، وتشريف أكثر مني بالإضافة إلي ما حققوه من إنجاز لكل مصالحهم، وإذا كانت الآلهة التي تعبد لها أي سلطان، لقدمت لي العون والمساعدة علي الفور، حيث اني تفانيت في عبادتها علي الدوام، وعلي ذلك إذا ما توصل البحث والدراسة إلي أن هذه التعاليم الجديدة التي تعرض علينا أفضل وأكثر فعالية، فمن الواجب الأيمان بها علي الفور ودون أي تأخير" [١].

وأيد المستشار الملكي الذي تحدث بعد كويفي موقفه، وأضاف ملاحظاته القيمة : "سيدي الملك تبدو حياة الإنسان علي الأرض علي أنها غير معروفة بالنسبة لما نحن فيه الآن أنك يا مولاي تجلس تتناول ما لذ وطاب من الطعام مع كبار حاشيتك وأتباعك الإقطاعيين في وقت الشتاء والنار مشتعلة في المدفأة في وسط قصرك، وكل شئ دافئ في الوقت الذي تتساقط فيه أمطار عواصف الشتاء والجليد، ثم يدخل عصفور القصر فجأة بسرعة، أنه يدخل من باب ويخرج بسرعة من باب أخر، لقد بقي العصفور في الداخل عدة لحظات، ولم تستطيع الرياح وعواصف الشتاء الهوجاء أن تنال منه شيئا، وبعد لحظة الهدوء يختفي عن بصرك وينطلق ثانية بعيد عن العواصف وعلي هذا تبدو حياة الإنسان مجرد دقائق محسوبة، والواقع أننا لا نعلم عما هو آت. وإذا ما قدمت إلينا هذه الديانة الجديدة معلومات أكيده، عندئذ يبدوا من الصواب الإيمان بالمسيحية كديانة رسمية لإنجلترا بدلا من الوثنية"[٢].

ووافق العديد من المستشارين الآخرين معلنين موافقتهم مع كويفي دون خوف أو تردد، في الوقت الذي أخذ فيه كويفي الكلمة للمرة الثانية وأعلن قائلا : "لقد أدركت أن ديننا عديم القيمة، لأنه كلما حاولت جاهداً البحث عن الحقيقة في معتقداتنا كلما ازدات اقتناعنا بعدم وجودها. والآن أعترف بصراحة أن الحقيقة تبدوا واضحة للعيان، في هذه التعاليم التي يمكن أن تغمرنا بنعمة الحياة والخلاص والسعادة الأبدية، ولذلك أنصح جلالتكم بإغلاق المعابد الوثنية علي الفور وبإشعال النيران فيها وفي مذابحها التي كنا نقدسها دون أن تجني أي ثمره"، ولابد أن الكلمة الثانية التي ألقاها كويفي قد أقنعت الملك والمستشارين، لأنه أصدر قراراه لصالح المسيحية علي الفور، وعندما سأل الملك عن من لديه الاستعداد بالإعلان عن كفرانه بمعبد عبادة الأوثان، تطوع كويفي وقال : "

---

[١] - جوزيف داهموس : المرجع السابق ، صـ٧٠ .

-Bede's Ecclesiastical History of the English people , vol (ii-9) ,p. 165.

[2]- -Bede's Ecclesiastic History of the English people , vol (ii-13) ,p.183.

سأفعل، إذ أن الله الحق قد منحني ما لم يمنح غيري "، ما يجعل من المناسب أن أقوم بذلك كي أعطي المثل الصالح للجميع، وعلي الفور طرح جانبا معتقداته الضالة، وطلب الملك أن يمده بالأسلحة وبجواد قوي. وركب الجواد وذهب ليحطم الأوثان، وفي ذلك الحين لم يكن مسموحا لكاهن كبير عندهم أن يحمل سلاحه أو أن يركب سوي حماره. وهكذا تحرك كويفي صوب مكان الأصنام ممتطيا صهوه جواد الملك ومتقلدا سيفه وممسكا حربه في يده، وأعتقد عامة الشعب الذين شاهدوه أنه قد أصابه مس من الجنون. غير أنه ما أن أقترب من المعبد الوثني حتي أبدي احتقاره له بإطلاقه الحربة صوبه دون تردد، وهو في غاية الابتهاج لمعرفته عبادة الله ، وأمر رفاقه أن يحطموا المعبد وأن يشعلوا النيران فيه وفي كل محتوياته، ومازال المكان الذي كانت به الأوثان موجودا بالقرب من يورك تجاه الشرق بعد نهر ديرونت، يدعي ذلك المكان اليوم باسم جودمانهام – Goodmanham - وهو المكان الذي أعلن كبير الكهنة احتقاره له وحطم المذابح التي أحاطها من قبل بهالة من القداسة. وكل ذلك بإلهام من الرب[١].

وعن تعميد الملك أدوين وعليه قومه وعدد كبير من رعيته ذكر المؤرخ – بيده – ودفع تحمس أدوين للدين الجديد، أن اعتنق ملك الإنجليز الشرقيين وشعبه الديانة المسيحية وبارك الله في أدوين ومملكته، ويقول – بيده-: "وكما يقول المثل تستطيع المرأة التي تنجب طفلا، أن تمشي في كل أنحاء الجزيرة من البحر إلي البحر دون كلل أو ملل ". والحقيقة أن أدوين راح ضحية ثورة أشترك فيها بيندا Penda ملك مرسيا الوثني سنة ٦٣٣م بعد أن حكم سبعة عشر عاما. وأن نشطت الوثنية من جديد في عهد بيندا وكيدوالا Caedwoila بعد مقتل الملك ادوين، لم يقدر لهم البقاء طويلا بإيمانه بالمسيح أن يحطم البريتون البغيض وجيشه الضخم الذي قال عنه أنه لا يقهر[٢].

وفي عام ٦٦٤م، قرر مجمع ديني ضم رجال الكنيسة الإنجليزية إخضاع البلاد بأسرها تحت إشراف الكنسية الرومانية، ولكن تكريس الكنيسة الأنجلو-سكسونية لصالح أسقف روما خدم البابوية أكثر مما خدم مصالح الكنيسة الإنجليزية، ذلك أن الكنيسة الإنجليزية التي كانت تفيض حماسة وغيره في القرن الثامن، أرسلت عدداً كبيراً من مبشيريها البارزين للعمل في البلاد الواطئة، التي كانت الموطن الأصلي لمعظم القبائل الإنجليزية، مما جعلها تفقد خيرة زعمائها وأكثرهم كفاءة وتستنفذ مواردها[٣].

---

[١] -جوزيف داهموس : المرجع السابق :صـ٧١-٧٢.

--Bede's Ecclesiastical History of the English people, vol (ii-13) ,pp.183-185.

[2]- Bede's Ecclesiastical History of the English people, vol (ii-13) ,pp.185-187.

[٣] -زينب عبد المجيد :المرجع السابق ، صـ١٨ ؛ سعداوي : المرجع السابق ، صـ٤٠.

وذكر المؤرخ – بيده – عدد من المعجزات لأنه يكتب تاريخ كنسي وليس علماني، يؤكد به قوة الدين المسيحي والقديسين، وكان دائما ما يذكر المعجزة في المكان الذي مات به القديس أو دفن به، فالمكان الذي اغتيل به الملك أوسوالد المقدس، يعتقد أن به قوى معجزة " لدرجة أن الناس اعتادوا علي اخذ بعض من تربه المكان الذي سقط فيه علي الأرض ووضعها في الماء، وباستعمال تلك المياه يتم لهم الشفاء من أسقامهم، وأصبحت تلك العادة شائعة، وأخذت كميات كبيرة من تربة المكان علي مر الأيام، حتي تكونت هناك حفرة عمقها طول قامة، وليس من المدهش أن المرضي كان يتم شفائهم في المكان الذي مات به الملك اوسوالد لأنه قبل موته لم يتقاعس عن رعاية المرضي الفقراء وتقديم الصدقات والمساعدات لهم. وهناك العديد من العجائب والمعجزات التي حدثت في ذلك المكان أو في المكان الذي نقلت إليه تربة ذلك المكان [١].

وبرهن – بيده – علي معجزاته بقوله : " أن رجلا مسافرا علي جواد مر بالمكان الذي مات به الملك أوسوالد وبعد موته بفترة قصيرة وعند ذلك المكان بدأ الجواد يشعر بالإعياء، ثم توقف عن السير وأحني رأسه إلي الأرض، وخرج الزبد من فمه، ثم سقط علي الأرض من شدة الألم، فترجل الفارس وخلع حلس الجواد، وانتظر ليري إذا ما كان الجواد ستتحسن صحته، أو ليتركه إلي أن يموت وعاني الجواد من الألم لفترة طويلة، وظل يتمرغ في التراب من مكان إلي أخر حتي انقلب رأسا علي عقب، وفي الوقت الذي أصبح فيه الجواد في البقعة التي مات فيها الملك، زال الألم علي الفور، وانتهت معاناة الجواد الشديدة، ثم بدأ يتدحرج هنا وهناك، كما تفعل الخيول بعد أن تنال قسطا من الراحة ثم وقف الجواد وقد شفي تماما من علته وبدأ يلتهم العشب بشراهة وعندما رأي الفارس الزكي ذلك، أدرك أنه لابد أن تكون هناك علاقة مقدسه تربط ما بين المكان وشفاء الحصان فوضع علامة علي المكان وأمتطي صهوة جواده وأنطلق إلي الحانة التي قصدها للإقامة بها وعند وصوله إلي الحانة وجد فتاة هناك وهي إحدى قريبات صاحب الحانة تعاني من الشلل، وعندما سمع أهل الفتاة يرثون حظها البدني المحزن، أخبرهم عن المكان الذي شفي فيه جواده، ولقد أخذوها في عربة إلى ذلك المكان ووضعوها علي الأرض. وفي مدي فترة قصيرة من الوقت استغرقت الفتاة في النوم وعندما استيقظت وجدت نفسها قد شفيت تماما من عجزها البدني"[٢].

ويؤكد المؤرخ – بيده – علي معجزات القديسين في ذكره قصة عن الملك أوسيو –Oswiu- الذي أتصف بعدوانيته وتجرده من المبادئ الأخلاقية بعكس

---

[١] -جوزيف داهموس : المرجع السابق ، صـ٧٣.

- Bede's Ecclesiastical History (iii-9) ,p. 243-245.

[٢] - جوزيف داهموس : المرجع السابق ، صـ٧٣.

- Venerabilis Baedae Historian Ecclesiasticam Gentis Anglorum ,oxford ,clarendo , press,1961 , pp. 15-16.

أوسوين " كان رجلا ورعا وحكم مملكة ديرا – Deira– لمدة سبع سنوات عاشتها في رفاهية، وأحبه الجميع " وتمني أوسيو أن يحكم نورثمبريا، وعندما رفض اوسوين القتال وقام بتسريح جيشه، أجبره أوسيو علي مغادرة البلاد وتعرض للاغتيال، وكان أوسوين طويلا وسيما ومهذبا ولطيفا وكريما مع عليه القوم وعامة الشعب علي حدً سواء، ولذلك أحبه الجميع للوقار الملكي الذي بدا عليه. وسارع عليه القوم والخدم في كل أجزاء المملكة لخدمته، ومن بين كل مناقب الطهارة والعفة والتواضع عنده قدوة فريده للدلالة عليه. وكان قد أهدي للأسقف عيدان أو إيدان –Aidan- جوادا قويا [1]، وبالرغم أن الأسقف أعتاد علي السيرعلي الأقدام، فإنه استطاع ركوب هذا الحصان عندما كان مضطرا أن يعبر النهر. وبعد ذلك بوقت قصير قابل الأسقف أحد الشحاذين، وطلب منه صدقة وترجل من علي الحصان علي الفور وأعطاه للشحاذ بكل ما عليه من أغطية والسروج المزركشة الملكية، لأنه كان رجلا رحيما إلي أبعد حد، وصديقا للفقراء وإباً حقيقا للبؤساء، وبلغ الملك ما فعله الأسقف، وحدث أن قابل الملك الأسقف عندما ذهب لتناول الغذاء فقال الملك للأسقف: "سيدي الأسقف لماذا أعطيت الشحاذ الحصان الملكي، الذي أعطي لك ؟! ألم يكن عندك خيول أقل قيمة، أو أشياء أخري يمكن تقدمها إلي الفقير، دون أن تسمح لشحاذ أن يحصل علي حصان اخترته بنفسي لاستعمالك الشخصي ؟! فأجابه الأسقف علي الفور قائلا: " مولاي الملك، ماذا تقول ؟ بكل تأكيد أن ابن الفرس اعز عندك من ابن الرب ؟ وبعد تبادل تلك الكلمات ذهبا لتناول الطعام وجلس الأسقف في المكان المعد له. أما الملك الذي كان قد عاد وتواً من رحلة الصيد فجلس بالقرب من المدفأة ومعه أتباعه الإقطاعيون. وفجأة تذكر الملك كلمات الأسقف فنزع سيفه وأعطاه لأحد أتباعه الإقطاعيين، وأتجه بسرعة إلي المكان الذي جلس به الأسقف، وسجد عند قدميه وطلب منه الغفران ثم قال الملك للأسقف: " لن أتكلم عن أي شئ أعطيته لك، وتقوم بمنحه لأبناء الرب من الآن فصاعدا. وبدا علي الأسقف التأثر الشديد لمشاهدته ذلك، ونهض علي الفور وساعد الملك علي الوقوف، معلنا انه سيكون راضيا لتناول الطعام، واسترد الملك روحه المعنوية، نتيجة لتوسلات ودعوات الأسقف، بيد أن الأسقف من ناحيته بدا عليه الحزن شيئا فشيئا حتي دمعت عيناه في ذلك الحين، سأل أحد القساوسة الأسقف بلغة لا يعرفها الملك أو الأتباع الإقطاعيون عن سبب بكائه، فأجاب عيدان:" أني اعلم أن الملك لن يعيش طويلا وأني لم أر علي الإطلاق ملكا في مثل تواضعه، ولذلك أعتقد أن الموت سيخطفه

[1] - جوزيف داهموس : المرجع السابق، صـ٧٤.
Bede's Ecclesiastical History (iii-9) ,pp. 243-245.

قريبا جدا، وأن هذه الأمة ليست جديرة بحكام مثله، وبعد ذلك بوقت قصير تحققت توقعات الأسقف المؤسفة بموت الملك "[١].

علي أن المصدر الحقيقي لإيصال المسيحية إلي نورثمبريا والبلاد الشمالية هى جزيرة أيونا –Iona – بغربي اسكتلندا، وهي الجزيرة التي أتخذها القديس كولمبان الأيرلندي مركزا للتبشير بالمسيحية الكتلية التي أوغل بها المبشرين الأسكتلنديون في البلاد، حتي بلغوا جهات مرسيا بأواسط الجزيرة، وذلك في عهد أوسوين وساعده عيدان أسقف مملكته في تأسيس دير في جزيرة ليندسفرن –Lindisfarne – القريبة من عاصمة المملكة، ثم انتشرت المسيحية الكلتية في تلك الجهات الشمالية حتي وصلت أسكس بالجنوب الشرقي من الجزيرة. وخلف أوسيو أخوه أوسوين وتزوج من ابنه ملك مرسيا المسيحية علي الطريقة الرومانية، علي حين أن الشعب تعلمها علي الطريقة الكلتية[٢].

ومن هنا اصطدت الطريقتان علي ما بينهما من اختلافات جوهرية، نشأت نتيجة التطور الطارئ علي الكنيسة الرومانية في طريقة التبشير وتفسير مدلولات الدعوة المسيحية، أما الكنيسة الأيرلندية فانقطعت صلتها بروما وظلت حافظه للقديم ولتقاليدها الأولي، فاحتدم الجدل بين أنصار الطريقتين في البلاط النورثمبري حول أمور منها: الصوم الكبير، وقص شعر الرأس، وزواج الأبن من زوج الأب، وقتل النفس، والتقويم المسيحي[٣]، وسرعان ما اشتد الخلاف بين الفريقين وتدخل الملك أوسيو لفضه، فدعي رؤوس الكنيستين إلي مجمع عقد في مدينة وايتباي – Whitby- سنة ٦٦٤م، لتحديد موعد عيد الفصح، والتمسك بالتحديد الروماني لموعد عيد الفصح، وأعطيت أهمية متساوية للآراء التي قيلت . وترجع الخلفية التاريخية للاختلاف في تحديد الاحتفال بعيد الفصح الذي أقره رجال الأكليروس في جنوب إنجلترا إلي عصر الغزوات الأنجلو- سكسونية. عندما عملت تلك الخلافات علي تقطيع أواصر الروابط بين إيرلندا وباقي العالم المسيحي، لم يتم تحديد موعد عيد الفصح علي نحو عالمي، وكانت إيرلندا قد أقرت كل التقاليد التي كانت قائمة شرق البحر المتوسط، لأن الحياة الديرية الأيرلندية كانت قد تشكلت وفقا للمؤثرات الشرقية أكثر من تأثرها بالمؤثرات الغربية، ولذلك فلمده لتزيد عن مائة وخمسون عاما منذ حوالي ٤٠٠م، فصاعدا تركت الكنيسة الكلتية وشأنها فيما يتعلق بقبولها تحديد موعد عيد الفصح، والذي حدث أن الملك أخذ التقويم الكلتي في الوقت الذي أخذت فيه زوجته بالتقويم الروماني، " فكان الملك قد انتهي من الصيام، واحتفل بأحد عيد الفصح، في

---

[١] -جوزيف داهموس :المرجع السابق، صـ٧٤- ٧٥ .

- Bede's Ecclesiastical History (iii-17) ,pp. 261-271.

[٢] -نظير حسان سعداوي: المرجع السابق، صـ ٣٨-٣٩.

- Carl Stephenson, Mediaeval History , 3 Edition ,1953 .p.123.

[3]- painter, op.cit., p.85.

الوقت الذي كان فيه الملكة وشعبها في فترة الصوم الكبير، ويحتفلون بأحد السعف "[١].

وتم عقد المجلس في وايتباي في ضيافة الملك، ودافع عن الطريقة الكلتية وشرحها للمؤتمرين الأسقف كولمان –Colman – الأيرلندي خليفة الأسقف عيدان القوي الشخصية وثقافته الأيرلندية. ودافع عن الطريقة الأوغسطنية وشرحها الأسقف ويلفرد – wilfred - رئيس الرهبان بدير ريبون[٢].

واستعد الطرفان بأسانيدهم. وبناء علي طلب الملك نهض الأسقف كولمان وعرض موقفه من تلك القضية : " أن نظام الاحتفال بعيد الفصح الذي أتقيد به وفقا للمراسيم المألوفة أخذته عن رؤسائي، الذين أرسلوني إلي هنا كأسقف، وهو النظام الذي سار عليه آبائنا، وهم الرجال الذين أحبهم الله. ولا يصح الآن القول بأن هذا النظام يبدو غير معقول، وغير جدير الأخذ به، ولا سيما أن القديس حنا الأنجيلي حواري المسيح المحبوب قد أخذ به، وعمل علي إحيائه والاحتفال به، وسارت عليه كل الكنائس التي أشرف عليها " [٣].

وعندما انتهي كولمان نهض القس ويلفريد ليعرض القضية لصالح التقويم الروماني،وكان ويلفريد ناطقا بلسان الأسقف إجيلبرت –Agilbert- من غرب السكسون، الذي اعتذر عن الحضور لافتقاره إلي التحدث باللغة الإنجليزية بطلاقة. وأكد ويلفريد "علي أن كل العالم (إيطاليا –أفريقيا –أسيا – روما) حيث عاش وبشر وتعذب ودفن كل من القديسين والحواريين بطرس وبولس، وقد قبلت كل تلك الجهات التقويم الروماني. علي أن البكتيين والبريتون، كان الشعبين الوحيدين اللذين رفضا الامتثال لذلك، وهما اللذان يعيشان في الجزائر البعيدة في المحيط، وفي بعض المناطق حاولوا أن يتصدوا لكل العالم بحماقة"[٤].

وأثار استخدام ويلفريد لكلمة "أحمق " مشاعر كولمان السريع الغضب الذي طلب أن يعرف علي الفور كيف يتجاسر أي شخص علي أن يطلق علي يوحنا الرسول لفظ أحمق، فأجاب ويلفريد أن يوحنا لم يكن بالتأكيد أحمق، وإنما دفعه حرصه علي تحويل اليهود إلي المسيحية أن أخذ بتقويمهم. ولنفس السبب

---

[١] - جوزيف داهموس : المرجع السابق، صـ٧٥ -٧٦ .

- Carl Stephenson ,op.cit., p.134 ; Painter ,op, cit .pp 85-86.

[٢] - نظير حسان سعداوي: المرجع السابق، صـ٤٠؛ سانت موس: ميلاد العصور الوسطي، ترجمة عبد العزيز جاويد – السيد الباز العريني الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، صـ٣٢٩.

- Painter, op.cit., p 86.

[٣] -جوزيف داهموس: المرجع السابق، صـ٧٦.

- Bede's Ecclesiastical History ,(iii -17) ,pp.265- 267.

[٤] -جوزيف داهموس : المرجع السابق، صـ٧٦.

- Bede's Ecclesiastical History (ii- 25) ,pp.299-301 .

قام بولس الرسول بختان تيموثي – Timothy– ووصل الخلاف إلي نقطة الحسم، عندما أشار ويلفريد ثانية إلي "القليل من الناس الذين عاشوا في أحد أطراف أبعد الجزر " ويصرون علي التمسك بما بتعارض مع الكنيسة العالمية التي عهد إلي المسيح بها إلي بطرس أسقف روما"[١]، وعندما قال: " أنت بطرس، وعلي هذه الصخرة –petra- إبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوي عليها، وأعطيتك مفاتيح الملكوت"[٢].

وأحدثت إشارة ويلفريد إلي مفاتيح الفردوس رد فعل فوري من قبل الملك أوسيو. إذ سأل هذا الملك الأسقف كولمان، إذا ما كان المسيح قد قال بالفعل تلك الكلمات لبطرس. وعندما أقر كولمان بأن ذلك ما حدث قال الملك : " هل توافقان دون ادني خلاف علي أن تلك الكلمات قالها المسيح إلي بطرس دون غيره، وأن الرب أعطي مفاتيح مملكة السماء إليه ؟" فقالا معا : "نعم"، وبناء علي ذلك أختتم الملك حديثه قائلا " حينئذ، أقول لكم ما دام بطرس يملك حق مملكة السماء فلن أخالفه، وإنما سأطيع أوامره في كل شئ قدر علمي وطاقتي، وإلا عندما أذهب إلي أبواب مملكة السماء، فلن يفتح لي أحد من أعلنتهم عنه انه يملك المفاتيح يكون قد أدار ظهره لي ". وعندما أنهي الملك حديثه عبر كل الحاضرين من مختلف الطبقات عن موافقتهم سواء كان جالسا أو واقفا عن قرب، وكفوا عن أمورهم غير الصحيحة، وقبلوا ما اعتقدوا أنه صحيح عن طيب خاطر[٣].

وذكر – بيده – أن المجمع لم ينته بموافقة إجماعية. وكان كولمان متصلباً في موقفه، وقرر المغادرة بجماعته الذين لم يوافقوا علي موعد عيد الفصح الكاثوليكي، وعملية حلق شعر رأس المترهب بشكل التاج، وعاد القديس كولمان وتابعيه إلي أيرلندا للمزيد من المباحثات حول عملية عيد الفصح وكذلك قص الشعر[٤].

وأكد – أورتن – أن المجمع استقر أخيرا في وجود الملك، أن تكون روما هي صاحبة الأمر في شئون المسيحية بإنجلترا، وتعاطف الجميع مع الجانب الروماني القوي ضد الأسقف كولمان وجماعته، والذين قرروا ترك نورثمبريا والعودة إلي أيرلندا [٥].

أي أن المجمع الكنسي سنة ٦٦٤م، قرر إخضاع البلاد بأسرها تحت إشراف الكنيسة الرومانية. ولكن تكريس الكنيسة الأنجلو سكسونية لصالح أسقف روما خدم البابوية أكثر مما خدم مصالح الكنيسة الإنجليزية، وذلك أن الكنيسة الإنجليزية التي كانت تفيض حماسة وغيره في القرن الثامن، أرسلت عددا كبيرا

[١] -جوزيف داهموس :المرجع السابق ، صـ٧٧.
[٢] -أنجيل متي : الإصحاح السادس عشر.
[٣] - جوزيف داهموس :المرجع السابق، صـ٧٧.
[4]- Bede's Ecclesiastical History (iii- 26) , p. 309.
[5]- Orton, out lines of Medieval History , Cambridge , 1929 , pp.97-98.

من مبشيريها البارزين للعمل في البلاد الواطئة التي كانت المواطن الأصلي لمعظم القبائل الإنجليزية، مما جعلها تفقد خيره زعمائها وأكثرهم كفاءة وتستنفذ مواردها [١].

وأعقب ذلك إسراع البابوية بتعين تيوردور الطرسوسي – Theodore of Tarsus- اليوناني الأصل (٦٦٩- ٦٩٠م) بمدينة كانتربري رئيسا لها، ومعه الراهب المثقف هادريان –Hadrian- وعند وصولهما إلي إنجلترا مهدا السبيل لإعادة تنظيم الكنيسة في إنجلترا، وأكثر من أنشاء المدن الأسقفية وعين حدودها وأساقفتها، وجعل يورك عاصمة إقليمية (أي مطرانية)، وأقام بناء أسقفي مبني عليه التشريع الأسقفي وسلطته، ونقل إلي الكنيسة الإنجليزية نظم الإدارة الرومانية وثقافتها، واقتنع ملوك إنجلترا بإعطاء أقطاعيات كبيرة للإنفاق علي الأديرة والكاتدرائيات الإنجليزية [٢].

وكان لقدوم تيودور وهادريان أثر كبير في أحداث تيار جديد للنشاط الفكري الذي نقله كل من أولدهيلم – Aldhelm- وبندكت بسكوب – Benedict Biscop- حيث كان تيودور من أبناء طرسوس في قليقية – Cilicia -، وعلي دراية تامة بالأدب العلماني الكنسي، سواء باللغة اليونانية أو اللاتينية. أما هادريان فكان من أصل أفريقي ومتمكنا من الكتاب المقدس، وعلي دراية تامة بالكتاب المقدس، وعلي دراية تامة بالحياة الديرية والكنيسة ومتقنا للغتين اليونانية واللاتينية علي حد سواء، وظل هادريان ملازما لتيودور في كل مكان، ويقدم له المساعدة عند قيام الأخير بإلقاء المواعظ المتعلقة بالحياة المقدسة، والتمسك بالتقاليد القانونية المتعلقة بالاحتفال بعيد الفصح [٣].

وعقد تيودور أول اجتماع للكنيسة الإنجليزية في كانتربري، وهو رأس الكنيسة الإنجليزية، وأول أسقف دانت لطاعته الكنيسة الإنجليزية. أكجريث- Ecgrith- بن أسيو. وتم مناقشة التقارير والموضوعات في المجمع المحلي، ووافق عليها المجتمعون [٤].

---

[١] - زينب عبد المجيد عبد القوي : المرجع السابق، صـ١٨.

[2]- painter. op .cit .p.87.

[٣] - كانا تيودور وهادريان علي قدر كبير من الثقافة الأدبية والدينية والعلمانية، لذلك فإنهما جذبا إليهما مجموعة كبيرة من الدارسين، واستطاعا سكب اتجاهات المعرفة المفيدة في عقولهم يوميا وقدما إلي مستمعيهما المعرفة المتعلقة بالكتب المقدسة، وبفن بحور الشعر وعلم الفلك والحساب الكنسي، والشاهد علي ذلك وجود بعض تلاميذهم الذين مازالوا علي قيد الحياة، وعلي معرفة تامة باللغتين اللاتينية واليونانية لمعرفتهم للغتهم الأصلية تماما بتمام ...ومنذ عهدهما لم تكن معروفة قبلها سوي في مدينة كنت .

- جوزيف داهموس :المرجع السابق، صـ٧٨.

- Bede's Ecclesiastical History (iv -2) ,pp. 333-335.

[4]- Bede's Ecclesiastical History of English people (iv- 2) ,pp .333-334.

وتعلمت إنجلترا من جديد ما للقوانين المكتوبة من مزايا في تثبيت أحوال البلاد والناس، وصارت لها نظم كنسية مرتبة علي نسق النظم الإمبراطورية الرومانية أدق ترتيب .وأية ذلك أن أول المجالس القومية التي عقدت بإنجلترا هي المجالس الكنسية، وأن أول مجموعة من القوانين العامة جمعت بمملكة كنت بإرشاد القديس أوغسطين، وأن تقسيم إنجلترا من أجل الإدارة الكنسية إلي أسقفيات ثم تقسيم الأسقفيات إلي إبراشيات، قدمت من أجل الخدمات في الحياة الريفية الإنجليزية، إنما يرجع الفضل في ذلك كله إلي الرومان من رجال الدين [١].

وعن رجال الدين من الإنجلو-سكسون انتشرت في أوربا فكرة ارتباط المسيحية واللاتينية، أي أن شمال أوربا أصبح مصدراً من مصادر الفكر. كما كان مركز السياسة في أوربا في ذلك الحين, والفضل في ذلك يرجع إلي أولئك المبشرون الأنجلو-سكسون الذين حملوا إلي بلاد الشمال للغة اللاتينية الأصلية لا تلك اللاتينية الركيكة.المليئة بالأخطاء، التي استعملها الناس في غالة وإيطاليا وقتذاك لتيسير شئونهم المعاشية والإدارية، وحرص أولئك المبشرون علي دراسة اللاتينية الصحيحة في الأديرة دراسة ثابتة وعميقة، قبل توجههم إلي نواحي الشمال التي كانوا يبشرون فيها بالمسيحية[٢].

وازدادت عدد البعثات التبشيرية الإنجليزية في الخارج زيادة كبيرة منذ أواخر القرن السابع الميلادي. ففي سنة ٦٧٧م جنحت سفينة ويلفرد أسقف نورثمبريا ، رئيس الأساقفة عارضه ويلفريد واشتكي إلي البابا في روما ضد رئيس أساقفة كانتربري في إنجلترا، فكان بذلك أول أسقف في تاريخ الكنيسة الإنجليزية يستعين بالبابا في روما ضد رئيس أساقفة كانتربري في إنجلترا [٣].

ولقد قام تيودور علي تدبير شئون الكنيسة الإنجليزية خير قيام، فوضع لها نظاما وقواعد جعلته "السياسي الأول في تاريخ إنجلترا "[٤]. وأورث إخلافه بعدة المنصب بسلطاته السياسية والدينية، وصار لهم مكانة مرموقة خطيرة في الناحيتين معا حتي اليوم، فلا يزال رئيس أساقفة كانتربري عضوا في مجلس اللوردات البريطاني، يناقش الحكومة في شئون السياسة، كما يقف حارسا علي شئون الدين في البلاد [٥].

---

[1]- Orton, out line ,op.cit., p.98 ; Dudden ,op .cit., Vol.2, pp.169-173 ; workman ,op.cit., pp. 172-174

[٢] -حسين مؤنس: المرجع السابق، صـ١٥٢-١٥٣.

- Thompson ,op ,cit ,vol.1, pp.232-233 ; workman , op,cit., pp.152-154 ; Eyre, op .cit., pp.266-267 .

[3]- painter , op.cit., p 87 ; Bede's Ecclesiastical History (iii-25) ,p301.

[٤] - رواس :المرجع السابق، صـ٢٧.

[٥] - نظير حسان سعداوي :المرجع السابق، صـ٤٠-٤١.

وبذلك انتصرت الكاثوليكية الرومانية علي المسيحية الكلتية القوية الشأن في ويلز واسكتلندا وإيرلندا. ونجحت البعثة الأوغسطينية في القضاء علي الانفصالية الدينية في إنجلترا، وصاحب الفضل في هذه الوحدة الدينية هو ملك نورثمبريا أو سيو فبفضله دخلت إنجلترا مرة أخري إلي حظيرة الكاثوليكية، كما ارتبطت مرة ثانية بالعالم اللاتيني واجتهد الرهبان الاوغسطيون في تعليم الناس اللاتينية والمسيحية في آن واحد [١].

وتوفي الملك أوسيو ملك نورثمبريا بعد أن قدم للمسيحية والكنيسة الكثير، وفي السنوات الأخيرة من حياة هذا الملك، ذادت درجة الورع عنده، إلي الحد الذي تمني أن يموت بين الأماكن المقدسة في روما، بيد أن الموت حال دون ذلك، ثم دعا تيودور الأساقفة إلي أول مجمع محلي من نوعه في تاريخ الكنيسة الإنجليزية، بالإضافة إلي كثير من العارفين بشئون الكنيسة الذين عرفوا وأحبوا الإنجليزية "والقوانين الكنيسة للآباء الأوائل". وذلك سنة ٦٧٢م في عهد الملك الأنجلو-سكسوني علي شاطئ فريزيا وهو في طريقه إلي روما فقضي الشتاء في هذه البلاد [٢].

ويذكر بالفضل أيضا في هذه الحركة التبشيرية، الرهبان الأيرلنديون الذين عرفت جزيرتهم منذ القرن السادس بجزيرة الأولياء والقديسين، وكانت مشحونة بالمعابد والأديرة، ومنها ذهب المبشرون لنشر الدين المسيحي في الأمم الجرمانية، وكانت إيرلندا مليئة بالرجال الذين أتصفوا بما تسعي إليه من الأخلاق كحب الخير والعقل والتقي، وكان اعتقادهم كنار القش لا تكاد توقد حتي تصير رمادا، بل هو اعتقاد متين، ولا تزال إيرلندا إلي اليوم مهد الحمية الدينية [٣].

وبينما كان العلم يضمحل بين سكان البلاد الرومانية الأصلية في إيطاليا وغالة، كانت أقدامه تثبت في نواحي الشمال، حيث حمله إليها رهبان من الأيرلنديين أو الأنجلو-سكسونيين، فصارت أسماء من اشتهر بالعلم خلال هذا العصر غالبيتهم من أصول إيرلندية أو أنجلو سكسونية وأوربية شمالي السين. ومما يستوجب الالتفات هنا، أنه رغم انتشار المسيحية بين الشعوب الجرمانية واعتناقهم لها، فإن تجارة الرقيق ازدادت نشاطا، كما ازداد تجارها غنا، لأن كثرة الحروب والغزوات أعانت علي اتساع مدي الرق، ولم تستنكر بل ولم تعترض

---

[١] - حسين مؤنس : أثر ظهور الإسلام في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البحر المتوسط، المجلة التاريخية، مايو ١٩٥١، صـ١٥١-١٥٢، نظير حسان سعداوي :المرجع السابق، صـ٤١ .

- Dudden, Gregory the Great , vol.1 , p 207 ; workman , op.cit, pp. 169-172.

[2]- Cam. Med .Hist vol .2 ,p541.

[٣] - سر تقدم الانجلو سكسون، صـ٣٣٨، نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، صـ٤٢ .

- Com. Med. Hist ,vol .2 , p.533 .

الكنيسة علي مبدأ الاسترقاق، بدليل أن جريجوري الكبير اشتري عدد من الرقيق الانجليز من مرسيليا، وبعث بهم إلي روما لينصرهم فيها[١].

ومهما كان الأمر فلا شك أن اعتناق الإنجليز للمسيحية قد فتح لهم عالما جديدا في إرساء قواعد حضارتهم، التي لاح معظم نورها في شمال الجزيرة بمملكة نورثمبريا، حيث تم التمازج بصورة واضحة بين العنصرين الإنجليزي والكلتي بفضل النور المنبعث من أديرة ورماوث –wearmouth- وجارو – jarrow- الشهيرة التي أسسها بندكت بيسكوب – B.Biscop - الإنجليزي المولد واحد القادمين إلي إنجلترا [٢].

ويمكن لنا أن نستشف الانتشار التدريجي للمعرفة في بريطانيا وان كان متواضعا، بيد أنه كانت له فاعلية إلي حد ملحوظ، واستطاع بيسكوب مؤسس دير ورماوث إقامة علاقات طيبة لمدة عام مع حنا كبير المرتلين في كنيسة القديس بطرس في روما لكي يستطيع تعليم رهبان الدير طريقة إلقاء الأناشيد والترانيم طوال العام، علي النحو المتبع في كنيسة القديس بطرس في روما. ونفذ الأب حنا تعليمات البابا – البابا أجاثو –Agatho – قد أذن لحنا بالقيام بهذه المهمة – وعلم قادة جوقات الترتيل في الكنيسة نظام وطريقة الإنشاد والقراءة بصوت مرتفع وتدوين كل الأمور الضرورية للاحتفال بالأعياد علي مدار السنة. وقام آخرون بنسخها في أماكن أخري، ولم يقتصر عمل حنا علي تعليم الأخوان في الدير، وإنما أمتد ليشمل كل من لديه القدرة علي الإنشاد من بين الذين توافدوا عليه من كل الأديرة الأخرى في أنحاء المملكة للاستماع إليه، كما تلقي كثيرا من الدعوات للتعليم في أماكن أخري[٣].

وبدأت البعثات التبشيرية الأنجلو سكسونية إلي القارة في العقد الأخير من القرن السابع، وبدأ المبشرون الديريون عملهم بين الوثنيين في البلاد الواطئة، التي كانت الموطن الأصلي لمعظم القبائل الإنجليزية. وأراد المبشرون الإنجليز أن يجلبوا معهم مكاسب الخلاص من أجل الوثنيين الذين اعتبروهم بني جلدتهم، سرعان ما اتصل المبشرون الأنجلو-سكسون بالكارولنجيين – العائلة الحاكمة في فرنسا – وعملوا تحت توجيه بيبن الثاني –pepin II- رأس العائلة الكارولنجية، الذي كان يرغب في بسط نفوذه علي الأراضي الواطئة، والذي اعتبر المبشرون الإنجلو-سكسون بمثابة الطليعة للغزو الفرنجي. فقد عمل قائد البعثة الإنجليزية في الأراضي الواطئة تحت راية البابوية أيضا وذهب إلي روما بإذن من بيبن لكي

---

[١] - نظير حسان سعداوي : المرجع السابق، صـ٤٢؛ حسين مؤنس :المرجع السابق، صـ١٥٤؛ سعيد عبد الفتاح عاشور :المرجع السابق ، صـ١٨٦.

- Dudden. op .cit , vol .2, p.207 ; Com. Med. Hist., vol.1, p .538.

[2]- Pinter , op.cit.,p.87.

[٣] - جوزيف داهموس : المرجع السابق ، صـ٧٩.

- Bede's Ecclesiastical History of English people (iv- 2) pp.333-335.

يرسم أسقفا علي فريزيا. كان هذا المثال الأول من نوعه علي العلاقة المحددة بين البابوية والحكام الفرنجة، مما أرسي نمط ارتباطها الثابت في النصف الأول من القرن الثامن بسبب تأييدها المتواصل لجهود المبشرين الأنجلو سكسون[١].

وكان الكارلنجيون يلتمسون السبل لإعادة السلطة الملكية في فرنسا التي كانت بأيديهم، وقد رحبوا بنشاط المبشرين الأنجلو-سكسون علي طول حدود مملكة الفرنجة في أواخر القرن التاسع، وفي النصف الأول من القرن الثامن، وكان موقف التعاطف الذي اتخذه الكارولنجيون حيال البعثات التبشيرية الأنجلو سكسونية نابعا من رغبتهم في الظهور بمظهر أصدقاء الكنيسة، التي يمكن أن يكون تأييدها المعنوي مفيد بصفة خاصة فيما يتعلق بحقهم في العرش الفرنسي، وهو محل شك، لأنهم يعتقدون أن تحويل قبائل الحدود الجرمانية إلي المسيحية سيجعل ذوبانهم داخل أملاك الملكية الفرنجية أكثر سهولة [٢].

وكان من بين المبشرين الأنجلو-سكسون وأعظم رجال الكنيسة ورهبان المسيحية في القرن الثامن شاب يدعي وينفريد –wynfrid- وهو أكثر شهره باسمه اللاتيني الذي سمي به وهو القديس بونيفاس –Boniface- وهو المبشر الذي أدخل ألمانيا إلي حظيرة المسيحية، بعد ان عمل عدة سنوات كمبشر في البلاد الواطئة، وهذه القبائل الإلمانية التي تعيش داخل المملكة الميروفنجية في المنطقة التي أصبحت جنوب غرب ألمانيا الحالية. وتمت أعمال بونيفاس بتأييد كل من الأسرة الكارولنجية والبابوية، كما حدث بالنسبة لأعمال المبشرين الأنجلو-سكسون في الأراضي الواطئة. ولكن الآن اهتمام بونيفاس كان موجها لضم منطقة كبيرة في نطاق المملكة الميروفنجية إلي حظيرة الحضارة المسيحية اللاتينية، فإن أهمية هذا الاتجاه التبشيري المستمر كانت أكبر في حالته. وسمح الإمبراطور شارل مارتل لبونيفاس في خطاباته : " بدون حماية أمير الفرنجة لا أستطيع أن أحكم شعب الكنيسة، ولا أدافع عن القساوسة والشمامسة والراهبات ... ولا أستطيع منع ممارسة الطقوس الوثنية [٣].

---

[١] - نورمان كانتور : المرجع السابق ، صـ٢٨٧ .

[٢] - نورمان كانتور : المرجع السابق ، صـ٢٨٨.

-Green A.S, op.cit., p.38.

[٣] - القديس بونيفاس أصله من ديفونشير بأقصى الجنوب الغربي من الجزيرة، وينحدر من صلب عائلة نبيلة مرموقة في جنوب إنجلترا. وقد لاقت أهمية أعمال بونيفاس تجاهلا من جانب المؤرخين، ولكن الأبحاث التي تمت في الربع الأخير من القرن العشرين وضعته في مكانة الصحيح كواحد من المبدعين البارزين حقا في أوربا الأولي. وبوصفه رسول ألمانيا ومصلح الكنيسة الفرنجية. والمحرك الرئيسي للتحالف بين الكنيسة والأسرة الكارولنجية ....وتلقي تعليمه في أكستر، ثم عبر البحر سنة ٧١٥م إلي فريزيا. أنظر في ذلك :-

- نورمان كانتور : المرجع السابق، صـ٨٩ - سانت موس : المرجع السابق صـ٣٣، فشر : المرجع السابق، صـ ٧٦- ٧٧.

- Thompson , op ,cit .vol .1 ,p 236.

واستمر بونيفاس يباشر أعماله التبشيرية التي كلفه بها البابا في ألمانيا، رغم أن الألمان كانوا قوم همج غلاظ القلوب أشداء الطباع، مما زال يعمل بينهم بكثير من الصبر والمعونة التي قدمتها له الدولة الميروفنجية، وذودته البابوية بالنفوذ والسلطة اللازمين للقيام بجهوده التبشيرية في ألمانيا [١].

وقام بونيفاس بثلاث رحلات إلي روما في سياق أعماله التبشيرية في ألمانيا وهي الأعمال التي استمرت سنة ٧٣٩م، وأثناء زيارته لروما تلقي تكليفا بوبويا بتحويل الشعب الألماني للمسيحية كما منحه البابا أسمه اللاتيني رمزاً لوضعه الجديد كممثل للكنيسة الرومانية في ألمانيا، وفي زيارته الثانية لروما رسم يونيفاس أسقفا. وتمثلت نتيجة مقابلته الأخيرة مع البابا في تنظيم الكنيسة الألمانية بالتعاون بين البابوية، وهذا الراهب الإنجليزي الذي أصبح كبير أساقفة مينز –Mainz – [٢] .علي فريزيا. كان هذا المثال الأول من نوعه علي العلاقة المحددة بين البابوية والحكام الفرنجة، مما أرسي نمط ارتباطها الثابت في النصف الأول من القرن الثامن بسبب تأييدها المتواصل لجهود المبشرين الأنجلو سكسون[٣].

ولكي تتم الإنجازات التبشيرية علي نحو فعال كان لابد من تسخير كل موارد الكنيسة الأنجلوسكسونية في القرن الثامن في هذا السبيل، ولدينا خطاب موجه من بونيفاس إلي جميع قساوسة وشمامسة الكنيسة الإنجليزية طالبا مساعدتهم في أعمال التبشيرية حيث يقول : " نحن نرجوكم في تواضع ....أن كلمة الرب قد تمضي قدما إلي الأمام وتحظي بالمجد، أننا نتوسل إليكم أن تبدوا الصلاة بأن الرب ...قد يحول قلوب السكسون الوثنيين إلي العقيدة الكاثوليكية .... ويجمعهم مع أطفال الكنيسة الأم كونوا بهم رحماء لأنهم يقولون الآن : " نحن وإياكم من دم واحد وعظام واحدة ....وفضلا عن ذلك يكن معلوما لديكم، أنه في حالة إنجاز هذا فإن لدي موافقة وقبول ومباركة أثنين من أحبار الكرسي الرسولي ....ويوضح هذا الخطاب مدي وعي رجال الكنيسة الأنجلو-سكسونية بخلفيتهم

---

[1]- Cam. Med. Hist. , vol.2, p 540 ; Thompson ,vol.1, p.236-237.

[٢] - تم تنظيم الكنيسة الألمانية، وصار لبونيفاس الإشراف علي الجماعات المسيحية التي تكونت بفضل جهوده في الأقاليم الجنوبية من ألمانيا، وبذلك أصبح بوسع بونيفاس أن يحول اهتمامه إلي إصلاح الكنيسة الفرنجية التي كان نظامها قد أنهار في غمار الفوضي التي تردت فيها في القرن السابع، ولهذا الغرض تم عقد عدة مجامع دينية – synods– كبيره، ففي سنة٧٤٢، سنة ٧٤٣م، عقد مجمعان لدراسة أحوال القسم الشرقي في مملكة الفرنجة سنة ٧٤٤م وعقد مجمع خاص بالغرب. انظر في ذلك :-

- نورمان كانتور :المرجع السابق، صـ٢٩٠.

-Workman , op. cit. p 176 ; Cam. Med. Hist., vol .2, p.540.

[٣] - نورمان كانتور : المرجع السابق، صـ٢٨٧.

- Cam. Med. Hist., vol .2 ,p ,535.

الجرمانية، كما يوضح في الوقت نفسه الولاء الحار الذي كان يحملونه للبابوية في القرنيين السابع والثامن[١].

ويبدوا أن الأعمال العديدة والمشاغل التي قام بها بونيفاس ما بين عامي سنة ٧١٨- ٧٥٢م صرفته عن الهدف الذي كرس نفسه له في شبابه، وهو تحويل الفريزين إلى المسيحية. وقد أدرك بعد سنة ٧٥٢م أنه أتم أعماله السياسية والإدارية فعزم علي العودة إلي فريزيا – التي كانت لا تزال علي وثنيتها لمباشرة نشاطاتة التبشيرية، ولكن الفريزيين الوثنيين أحاطوا به هذه المرة، واغتاله قرصان كافر سنة ٧٥٥م وهو في الخامسة والسبعين من عمره [٢].

وعن طريق هؤلاء المبشرين ودورهم، ومدي تأثيرهم في العلاقة بين الكنيسة الإنجليزية والملكية الأنجلوسكسونية. يمكن القول بأن الملوك الإنجليز ومقدره رجال الكنيسة، كان يعني أن الكنيسة لديها معني ومفهوم إلي حد ما لسيطرة وسيادة الدولة، فقد كان رجال الكنيسة الإنجليزية قادة وأصحاب مشورة في مجمع الملك، ولم يكن قد ظهر بعد الشعور بأن شئون الكنيسة يجب أن تكون حكرًا علي رجالها، وكان رجال الكنيسة والعلمانيون معا في اجتماع الملك، وفي محاكم المقاطعة يجلس كل من الأسقف وحاكم المقاطعة معا، ويتعاملون مع القضايا التي تعرض أمامهم سواء كانت علمانية أو كنسية، مما يفسر ارتباط الكنيسة الوثيق بالمملكة. حيث يتم تعين الأساقفة بواسطة الملك، وبموافقة مجلس الحكماء (الواتان) – witan -[٣]،ومهمته انتخاب الملك من بين أفراد طبقة البيت الحاكم، وإبداء النصح إليه في مشاكل المملكة الرئيسة. وتجسدت علاقة الملكية الأنجلو-سكسونية في هذه الفترة في دفع إتاوة سنوية للبابوية عبارة عن ما اصطلح علي تسميته باسم بنس القديس بطرس –pater's – والتي يعتقد أنها أول هبة رحمة من الملوك الأنجلو-سكسون تعبيرا عن الاعتراف بخضوع الملكية للبابوية وتدفع هذه الهبة في يوم عيد القديس بطرس، وتمثل جانبا هاما من الإيرادات الكنيسية، وقد نص القانون آنذاك علي أن الذي يخفق في دفع بنس القديس بطرس في الوقت المحدد، يجب أن يذهب إلي روما ويدفع ذلك بنفسه بالإضافة إلي فرض غرامة باهظة علي الملك في حالة عدم إرسال إيرادات هذه الهبة البابوية [٤].

---

[١] - نورمان كانتور : المرجع السابق , صـ٢٩١- ٢٩٢.

-Margaret Densely , the Medieval church , pp. 50-51 .

[٢] - سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، صـ١٩٠

- Thompson ,op .cit ,vol. p 337 ; Stephenson C. , op.cit., p. 135.

[٣]- مجدي وهبة : قدماء الإنجليز ملحمة بيولف ، دار المعرفة ، ١٩٦٤ ، صـ٥٢ .

- Gross , A History of England and Greater Britain , New York ,1921 , p.79 ; Stanton , English society in Early Ages 1066-1307 , penguin ,1959 , p. 209.

[٤]- زينب عبد المجيد :المرجع السابق، صـ١٩ .

والحقيقة أن الملك كان يستمد سلطانه من الكنيسة، والكنيسة تستمد نفوذها من الملك يتضح ذلك من نص القسم الذي كان يلقيه الملك وقت تتويجه أمام الكنيسة، مما يدل علي قوة الارتباط بين الملك والكنيسة ومدي ما كان بينهما من تحالف في المجتمع الأنجلو سكسوني، وكان القسم الذي ألقاه أحد الملوك عند التتويج عبارة عن : " باسم الثالوث المقدس، أعد الشعب المسيحي الذي أحكمه أن أقوم له في مقدمة ما أقوم بأمور ثلاثة :

أولا:- أن كنيسة الرب ورعاياى المسيحيين سيعملان معا لتوطيد الأمن والسلام.

ثانيا:- أني أحرم الظلم علي جميع رعاياي من كافة الطبقات .

ثالثا:- أني أعد أن أحكم بالعدل، وأن تتسم أحكامي وأحكام من ينوبون عني بالرحمة، وذلك لكي يمنحنا الرحمن الكريم الأبدية وهو الرب الذي يحكم ويسيطر علي الجميع [١].

والحقيقة أن لرجال الكنيسة الإنجليزية دور كبير في البعثات التبشيرية في القارة الأوربية، وكان الإنطباع العام يشير إلي أن الأمور تسير علي ما يرام بالنسبة للكنيسة والمسيحية، عندما ذار كل من كيدوالا –Caedwalla- ملك السكسون الغربيين وخليفته الملك آن –Ine- مدينة روما في الوقت الذي لم يكتف فيه كل من كنراد –Cenred- ملك المرسيين وأوفا – Offa- ملك السكسون الشرقيين بزيارة روما فحسب، وإنما بقي كل منهما هناك وانضمام إلي المجتمعات الديرية [٢].

وذكر – بيده- في خطاب أرسله أجبرت رئيس الأساقفة إلي وجود إيجابية بدرجة أقل عما مضي في الكنيسة، ففي هذا الخطاب يرثي لحال العديد من الأساقفة، الذين أصبحوا دون مستوي الصلاحية، ولوجود أديرة مزدحمة بالرهبان الزائفين، الذين كان دافعهم الوحيد الانخراط في السلك الرهباني، وهو هروبهم من مسئوليات الحياة العامة، وكذلك التدهور العام في النظام من قبل رجال الدين المحترفين وغير المحترفين، وهناك تفسير ممكن قبوله بشأن هذا التناقض، وهو أن – بيده- أراد في خطابه إلي رئيس الأساقفة أن يتحدث بصراحة تامة بما يشعر به من واجب تحتم عليه الظروف أن يؤديه، ومن ناحية أحري حث الناس علي محبة الرب، بالإشارة إلي القدوة الحسنة للملوك الأتقياء [٣].

وكان لرجال الدين المسيحيين الإنجليز دور هام في نشر المسيحية في إنجلترا، ومنهم الدهليم –Aldhelm- وقد تلقي تعليمه الأول علي يد راهب

-Hume , the Hist of England from the Invasion of Julius Caesar to the Revolution of 1688, London , 1836. p.52.

[١] -مجدي وهبة : المرجع السابق، صـ٥٢-٥٣ ؛ زينب عبد المجيد : المرجع السابق ، صـ٢٠.

[2]- Bede's Ecclesiastical History of the English people (iv-24) ,p.419.

[٣] -جوزيف داهموس : المرجع السابق ، صـ٥٢.

- Bede's Ecclesiastical History of the English people (v-17) ,p.513.

إيرلندي، ثم ذهب إلي كانتربري، حيث علمه هادريان – رئيس أساقفة كانتربري – كل صنوف الأدب اليوناني والروماني، وفيما بعد سنة ٦٧٥م علي وجه التحديد، كان الدهليم رئيسا لدير مالمسبوري –Malmesbury- وذهب إليه الدارسون من كل أنحاء إنجلترا للاستفادة بعلمه، وعندما كان الدهليم قسيسا ورئيسا لدير مالمسبوري، أمره مجمع محلي من أهالي تلك المدينة بكتابة كتابه المشهور ضد التحديد الخاطئ لعيد الفصح، الذي وقع فيه الإنجليز في ذلك الحين، وضد الأساليب الأخرى العديدة التي تتعارض مع ممارسة الشعائر السليمة وتتعارض مع سلام الكنيسة، وبفضل ذلك الكتاب أستطاع الدهليم أن يعيد كثير من البريتون الذين كانوا خاضعين للسكسون الغربيين إلي الصواب، واختاروا الموعد الكاثوليكي المحدد للاحتفال بعيد الفصح. كتب أيضا كتابا ممتازا عن العزوبة، وكان سداسي التفاعل نظما ونثرا مقدما بذلك عملا علي مثال ما قدمه سيديوليوس –Sedulius- وكتب العديد من الكتب الأخرى، لأنه كان رجلا واسع المعرفة والاضطلاع، وتمتع الدهليم بأسلوب رفيع وكان مشهورا بمعرفته الواسعة في الدراسات الكنسية العامة[١].

أما عن العلاقات بين أوفا الأنجلو سكسوني (٧٥٧- ٧٩٦م)، والكنيسة الإنجليزية فكان لها طابع خاص، حيث تبدأ بالتحديد سنة ٧٦٤م، وهناك وثيقة تؤكد ظهور الملك أوفا في كانتربري عاصمة كنت بصحبة كل من هيهبرهت – Heahberhet- ملك كنت ورئيس أساقفة المملكة، حيث أصدر اوفا أوامره بمنح إحدى الإقطاعيات الكبري إلي الأسقف فريندزربيوري –Frindsbury- ونفس القطعة منحها ملك كنت إلي أسقف روتشيستر[٢]، سنة ٧٦٢م، مما يؤكد عمق العلاقات بين أوفا والكنيسة منح كذلك الملك قطعة من الأرض إلي رئيس أساقفة كانتربري في نهاية عام ٧٧٤م، مما يؤكد علي عمق العلاقات في البداية بين أوفا والكنيسة الإنجليزية [٣].

وساءت العلاقات بين الملك أوفا والكنيسة الإنجليزية بصفة خاصة والبابوية بصفة عامة بعد معركة أوتفورد سنة ٧٧٤م، وانتصار الملك اوفا علي ألموندس –Almondos- ملك كنت وتمهيداً لتدمير مملكة كنت، أصدر اوفا قرارات تحد من نفوز رجال الكنيسة، وسلب أهم اختصاصاتهم وعلي رأسهم رئيس أساقفة كانتربري الذي جرده من سلطانه. وتخطي الكنيسة في إنجلترا وتحدي البابوية المتحالفة مع كنت، وأصدر أوفا قرارا بإنشاء أسقفية ليتشفيلد –

---

[١] - جوزيف داهموس : المرجع السابق، صـ٥٢.

- Bede's Ecclesiastical History ,(v-17) ,p.513 .

[2]- cartularum saxonicum,Bitch.G.W., London ,1885, p.93-154 .

[3]- ; Stenton S.F., Anglo- Saxon England , Oxford , 1984. p,207.

Lichfield- وأن كانت هذه القرارات خطيرة جدا، بحيث هددت إنجلترا كلها من الخروج من حظيرة المسيحية، ورفض الخضوع لسلطة البابوية في روما [١].

وفي محاولة من البابوية متمثلة في البابا أدريان الأول –AdrienI (٧٧٢-٧٩٥م) التخلص من الملك أوفا المعادي للكنيسة الرومانية، وأعماله ضد الكنيسة والعقيدة الكاثوليكية، أذكي البابا نيران الكراهية بين أوفا وإيثلبرهت، وحرضه البابا علي التخلص من أوفا عدوه وعدو الكنيسة الرومانية، وهب أوفا لمقاتلته، وفي موقعة حاسمة التقي الطرفان وتفوق أوفا علي إيثلبرهت وأسره يوم الثلاثاء العشرون من مايو سنة ٧٩٤م، وقام أوفا بذبحه وفصل رأسه عن جسده [٢].

وفشلت جهود البابوية بمقتل إيثلبرهت للتخلص من أوفا، وسعي البابا بكل الطرق للتخلص من أوفا بسبب عداوته الشديدة له، ولما قام به من أعمال أدت إلي تقويض الإيمان، هذا فضلا عن الإشاعات التي ترددت في الكنيسة الرومانية عن سلوك الملك الإنجلو سكسوني المعادي للكنيسة، مما يهدد سلطانها المباشر علي الكنائس الأخرى[٣].

ويؤكد ذلك قول المؤرخ – ستنتون – أن الملك أوفا محتمل انه أعتنق الإسلام سرا، فوصلت تلك الإشاعات إلي مسامع البابا ادريان فجن جنونه خوفا علي وحدة الكنيسة الرومانية وعقيدتها الكاثوليكية، التي لابد أن تكون قد تأثرت بسبب أعتناق اوفا للإسلام، فسارع البابا بإعداد بعثه عاجلة أرسلها إلي إنجلترا سنة ٧٨٦م، وتتضح أهمية تلك البعثة في أن البابا قد وضع علي رأسها المدعو جورج أسقف أوستيا –George bishop of ostia- وهو رجل مشهور بتجاربه العديدة في مجال التبشير بالمسيحية، ومعه رجل كفء أخر وهو ثيوفلاكت أسقف تودي –Theophylact bishop of Todi- فضلا عن مجموعة أخري من كبار رجال الدين المسيحي . هذا من جهة ومن جهة أخري يلاحظ أن هذه البعثة هي الأولي من نوعها التي لم ترسل البابوية مثيلا لها إلي إنجلترا من قبل منذ بعثة أوغسطين سنة ٥٩٧م، مما يؤكد خطورة الأوضاع المتردية التي وصلت إليها المسيحية في إنجلترا، ربما بسبب أرتداد الكثيرين عنها، فكان لابد من إرسال هذه البعثات العاجلة درءاً لتلك المخاطر " ومن أجل إعادة وتثبت الإيمان في نفوس الإنجليز "، وتؤكد الشهود أن الملك اوفا مكرا منه قد هادن البابوية وأنكر الشائعات، ترقبا للفرصة المواتية لإعلان إسلامه جهرا ونهارا، بعد أن يكون مكن لدينه الذي أرتضي في بلاده. فكان أول وأخر مرة من نوعها في تاريخ

1- ; Stenton , op.cit., pp.207-216.

2- laud Chronicle, p.55 ; Parker chronicle, p54 ; Stenton , p.210 ; Roger of Wendover , vol .1.p.158

3- Stenton , op.cit., p.215.

أوربا أن يأمر ملك مثله بضرب هذا الدينار الفريد ذي عبارات التوحيد الإسلامية في تحد سافر للبابوية، وليأس البابوية من أثناء اوفا عن عزمه، أو التفاهم معه بالحسنى، خطط البابا لعزله بالاتفاق مع كل من إيثلبرهت ملك إيست إنجليا، فضلا عن البريتونيين في ويلز، للقيام بالهجوم علي أوفا، وحصره بين فكي كماشه تطبق عليه من الشرق والغرب، ولكن شاءت الأقدار أن تفشل تلك الجهود بانتصار اوفا علي إيثلبرهت ومصرعه[١].

وغضب البابوية بشدة لمصرع إيثلبرهت، واتهمت الملك أوفا بالوحشية والدموية، وإثارة الجميع ضده وحشدهم للتخلص منه، والإعداد لجولة أخري أفضل حبكة لقتله، وتقديرا لدور إيثلبرهت، وكسبا لمشاعر الجميع وتكاتفهم ضد اوفا، أصدر البابا مرسوم باعتبار إيثلبرهت "قديسا وشهيدا " وأمرت الكنيسة بحفظ جسده في كاتدرائية هيرفورد –Hereford- التي خلدت ذكراه واسمه علي مر التاريخ [٢]. علي الرغم من أن الكنيسة لم تشر من قريب أو بعيد بحيثيات القديسة التي أسبغتها علي إيثلبرهت، بعكس عادتها المتبعة في إظهار أمجاد القديسين ودورهم في الدفاع عن المسيحية. والحقيقة أنه ليس هناك داع لإسباغ هذه القديسة علي إيثلبرهت، إلا القول بشأن أتفاق البابوية مع إيثلبرهت للتخلص من أوفا، والثابت تاريخيا أن شارل مارتل وشارلمان يعتبران المدافعان عن العقيدة المسيحية في أوربا الغربية، لما قاموا به من أعمال بطولية لا تنكر من أجل نشر وحماية المسيحية بحد السيف، ورغم ذلك لم تضعهم الكنيسة في مرتبة القدسيين، بينما إيثلبرهت المغمور قياسا بهم اعتبر قديسا وشهيدا ! وتكرس كنيسة لتخليد ذكراه دون الإفصاح عن أسباب القديسة، ولكن هدف البابوية هو تشجيع غيره من الملوك علي الإنصياع لأوامرها للحصول علي هذه المكانة العظيمة والرفيعة [٣].

ومما يؤكد محاربة البابوية لأوفا مصرع الملك إيثلريد ملك نورثمبريا، حيث أكدت بعض المصادر أن مصرع إيثلريد سببه علاقة النسب التي تربطه بالملك اوفا، حيث تزوج إيثلريد من إيلفيلد – وأنضم إلي الاتحاد الكونفيدرالي الأنجلو- سكسوني تحت سيطرة وسيادة مرسيا ولخوف البابوية من احتمالات تأثره بأفكار اوفا المعادية للمسيحية لذلك نفذ البابا مخططه للتخلص من إيثلريد ومشاركة شارلمان وبعض النبلاء المقربين للملك إيثلريد والذي كان يستبعد تماما أن تكون نهايته علي أيديهم. ولقي الملك مصرعه في الثامن عشر من إبريل سنة

---

[١] - مصطفي حسن الكناني : عصر المل أوفا الأنجلو سكسوني، الإسكندرية، ١٩٨٦م، صـ٨٠-٨١.

[2]- James. M.R., Tow lives of Ethelbert king & Mayer, E.H.R ,vol.3 ,1917 , p.392 ; Roger Hoveden ,op.cit., vol .1,p.29 , ; Stenton ,op.cit., p.210 .

[٣] - مصطفي الكناني : المرجع السابق ، صـ٨٣ -٨٤.

- ; Stenton ,op.cit., p.210-211 .

٧٩٦م، وسعت البابوية في تنصيب أحد حلفائها علي نورثمبريا وثاروا علي إيردولف، الذي هرب طلبا لمساعدة البابوية وشارلمان وأرسل رسالة إلي البابا ليو الثالث (٧٩٥ – ٨١٦م)، لمساعدته في العودة إلي عرش نورثمبريا وعاد بالفعل [١].

وعادت البابوية مرة أخري للتأمرعلي أخر سلالة أسرة الملك أوفا وأحد أقاربه وهو الملك كينولف (٧٩٦-٨٢١م)، بسبب أعماله المعادية للكنيسة المسيحية في إنجلترا. فعقدت أتفاق مع إيردولف ملك نورثمبريا علي التخلص من كينولف، واشتد الصراع بين الملك كينولف وممثل البابوية في إنجلترا، ويرجع بعض المؤرخين أن النزاع بسبب انتزاع كينولف ملكية بعض الأراضي التابعة لكاتدرائية كانتربري، وأتهم كينولف رئيس اساقفة كانتربري ومندوب البابوية بالعديد من التهم تستدعي عزل مندوب البابا، وبلغ الصراع قمته، مما دعي البابا إلي التهديد بإصدار قرار الحرمان ضد إنجلترا، ولكنة عدل عن ذلك. وأعلن تحالف البابا وشارلمان محاربة كينولف علنا، وأرسلوا إلى الملك كينولف للقضاء عليه[٢].

ورغم الكراهية الشديدة من جانب شارلمان للملك أوفا، إلا أنه كان يعمل له ألف حساب، ويخاطبه في رسالة تبين ذلك جاء فيها ".....أن الحفاظ علي روابط الصداقة بين أصحاب الجلالة والملك، أمر حتمي من أجل السلم والسلام ...." وقد أشارات المصادر إلي رسالة أرسلها شارلمان إلي كل من إيزلهرد رئيس أساقفة كانتربري وكينولوف أسقف لينديسي، يطالبهما فيها بالتقرب والتودد إلي الملك أوفا، وعدا إياهما بالتدخل لدي أوفا للسماح لهما بالعودة إلي بلديهما دون إلحاق الضرر بهما [٣].

والحقيقة أن هذين الرجلين كانا قد أبعدهما أوفا دون أن تذكر المصادر سببا للإبعاد، والتي يحتمل أنها كانت بسبب موقفهما المعادي للملك أوفا ومعارضتهما إياه لمواقفه المعادية للعقيدة المسيحية، تلك المواقف التي توجت بإصداره ديناره الذهبي الشهير ذي عبارات التوحيد الإسلامية، ولعلهما أخذا معا بعضا من تلك الدنانير وقدمها إلي البابا ادريان الأول، مصحوبة بتقرير واف يحدد ظروف ضرب تلك الدنانير، فضلا عن تبيان سياسة أوفا المعادية للكنيسة الكاثوليكية والعقيدة المسيحية. كما أخبراه بنوايا أوفا الرامية إلي تدمير الكنيسة الرومانية، والحط من قدر البابا في نفوس تابعيه والسعي الجدي إلى خلعه. وأية ذلك أن البابا قد سيطر عليه فزع شديد من مغبه الأخطار التي سوف تصيب

1- ; Stenton , op.cit., p.94 ; laud Chronicle ,p.57 ; Parker chronicle ,p.56.
2- ; Stenton ,op ,cit , pp.94-95.
3- Letter of Charles the Great to Aethetheard Archbishop of Canterbury & Ceolwulf bishop of Lindesey (793-796), E.H.D ,vol.1, p.847.

المسيحية في إنجلترا من جراء سياسة أوفا، واضطر إلي أخذ الحذر منه، وعمل لسياسته ألف حساب، هذا من جانب، ومن جانب أخر أشارت المصادر إلي رسالة ذات عبارات خطيرة الفحوى، أرسلها البابا أدريان إلي الإمبراطور شارلمان، أفاض فيها واستفاض في مدح الإمبراطور حامي المسيحية والمدافع عنها في أوربا، ثم عرج بعد ذلك علي موضوع ما سمعه من شائعات وصلت مسامعه تؤكد تقرير شارلمان وعزمه علي خلع البابا تحقيقا لرغبة الملك أوفا ....، تمهيدا لانتخاب بابا أخر من الإفرنج بدلا منه، وبناء علي اقتراح بهذا الصدد قدمه اوفا وسعي جاهدا لتحقيقه، والغريب أن تاريخ تلك الرسالة مجهول علي غير العادة المتبعة في مثل هذه الرسائل الهامة فيما بين الملوك والبابوات، ولربما كتبت عام ٧٨٥م، أو سنة ٧٨٦م ولا شك أن تلك الرسالة فضلا عن التقرير المشار إليه أنفا، والذي كتبه كل من إيزلهرد وكيولوف مندوبي البابا تتضح أهميتها في أنهما كشفا مدي الأخطار التي هددت المسيحية في إنجلترا كلها بسبب اعتناق أوفا للإسلام [١].

ويبدوا أن شارلمان قد أرسل رسالة من لدنه مع مبعوث إلي الملك اوفا، بناء علي توسلات البابا إليه بالتدخل للحد من خطورة الموقف، وبما عرف عنه من ذكاء ودبلوماسية أستقبل أوفا السفارة الفرنجية، فضلا عن مبعوث البابوية بالترحاب مهادنة منه لهم وضمانا لعدم إثارة القلاقل أمام مجهوداته لتوحيد الأمة الإنجليزية، وحتي يوطد أركان عقيدته الجديدة في نفوس رعاياه أن استطاع إلي ذلك سبيلا في نفس الوقت يحتمل أن شارلمان كان يسعي من وراء تدخله إلي كشف مدي حقيقة ما أشيع عن اعتناق أوفا للدين الجديد، فحاول جس نبضه بان عرض عليه تزويج إبن شارلمان من إحدي بناته فرفض أوفا بشدة، وطالبه بتزويج ابنته برثا من ولده إيجفيرث، فاستشاط شارلمان غضبا، لدرجة أنه أمر بوقف المفاوضات وسحب سفراته وعودتها علي الفور، فضلا عن إصداره أوامره المشددة بمنع كافة التجار الإنجليز من دخول جميع موانى ومدن مملكته للتجارة[٢]. والحقيقة أن شارلمان ألقي بثقله إلي جانب البابوية وأعداء اوفا وأن قلل من جهود ذلك التحالف عظم مكانة أوفا وتأثره القوي علي مسار الأحداث في غرب أوربا. وحاول هذا التحالف بكل الطرق وأد جهود أوفا المعادية للكنيسة والعقيدة الكاثوليكية، قبل أن يستفحل خطرها في إنجلترا.

---

[١] -مصطفي الكناني :المرجع السابق، صـ٩٣-٩٤.

- ; Stenton , op.cit., p.215 ; Counicls & Ecclesiastical Documents ed .A. W. Hadden & W.S. Stubbs , Oxford ,1871 ,vol.3, pp. 440-442 .

[٢] - مصطفي كناني : المرجع السابق، صـ٩٥.

- C.E.D. vol.III, p.487; Letter of Alcuinto Colcn ,p .790 ; E.H.D,vol .1, Doc. No. 192, pp.840-841.

ومما يرجح اعتناق الملك اوفا الإسلام دينـاره الذهبي الذي نقشت عليه عبارات التوحيد الإسلامية، فضلا عن نقش اسم الملك أوفا باللاتينية – OffA REX- ولقد أمتاز الدينار بسمات خاصة جعلته فريدا في نوعه قياسا إلي كافة العملات الصادرة في أوربا، وكان الدينار عليه عبارات التوحيد الإسلامية، ولم تعرض دوائر المعارف العالمية والمعاجم والمراجع المتخصصة لمناقشة هذا الدينار، مما يؤكد الإهمال كان متعمدا من أجل طمس حقيقة تاريخ الملك أوفا. هذا وترجح الشوائد التاريخية أن الملك أوفا قد اعتنق الإسلام وسواء أكان قد اعتنقه وحده أم هو وأفراد أسرته وكبار رجال حاشيته، فالثابت أن البابوية ورجال الكنيسة قد جن جنونهم، وخططوا مع شارلمان للتخلص من أوفا، ولعل ذلك يفسر سبب ضياع وثائق عصره دون غيره من الملوك الإنجليز وضياع هذه الوثائق مردة إلي الكنيسة.

المصادر والمراجع الاجنبية والعربية:

اولا المصادر:-

-Bede's Ecclesiastical History of the English people Bertran colgrave and R.A.B .Mynors , Oxford , 1969.

-Cartularum saxonicum, Bitch G.W. , London , 1885.

-Counicls & Ecclesiastical Documents ed A. W. Hadden & W.S. Stubbs, Oxford , 1871 , vol.3.

-E.H.D , English Historical Documents , by Whitlock , London , 1979.

-Laud Chronicle , the Anglo Saxon Chronicle ,ed. G.N. Garmonsway, 1975.

-Letter of Charles the Great to Offa , King 0f Mcria (796) , cf.E.H.D.. vol.1, 197, pp.848-849.

-letter of Charles the Great to Aethetheard Archbishop of Canterbury & Ceolwulf bishop of Lindsey (793-796), E.H.D , vol.1, 196 , p.874.

-Monmouth G., the History of the kings of Britain trans by Lewis Throop , London ,1978

- London Museum catalogue .vol 3 1930.

-Roger of wendover , Flowers of History ,Trans, from the Latin by Giles, 2vols, London, 1949.

-Venerabilis Baedae Historian Ecclesiasticam Gentis Anglorum , Oxford ,clarendo , press ,1961.

ثانيا المراجع الأجنبية:-

-Adams G.B., The History of England from the Norman conquest to the Death of john (1066-1216) , London , 1805.
-The Cambridge Medieval History. , vol.v , Cambridge , 1926.
-Cantor Norman F. , Medieval Hist. the life and Death of civilization ,U.S.A, 1969.
-Carl Stephenson , Mediaeval History , 3 Edition , 1953.
-Carter , History of Britain , London , 1934.
-Cary , A History of Rome down to the Reign of Constantine , London , 1954.
-Chadwick N. , the Celts , London , 1976.
-Chapot V., Lemona de Romaine , Paris , 1927.
-Davis , the British Isles from earliest times to the Meddle Ages , London , vol VII. , 1926 .
-Davis ,The British isles from the Earliest Times to the Med .Ages " in B.H, vol.II , 1930.
-Davis, England under the Normans Angevins , 1006-1272 , London ,1930.
-Dill S., Roman Society in the last century of the western Empire , London , 1925 .
-Downey G., The Roman Empire , U.S.A , 1969 .
-Dudden , Gregory the Great , His. place in Hist., vol .1, 1946.
-Glover T.R. , the Conflict of Religion in the Early Roman Empire , London , 1910 .
-Green j.R., History of France , London , 1909.
Gross , A History of England and Greater Britain, New York , 1921 .
-Hodgkin T., The History of England from the Earliest times to the Norman Conquest , London , 1920.
-Hoyt R & Chodorow S., Europe Middle Ages , U.S.A , 1976.

-Hume , The Hist of England from the invasion of Julius Caesar to the Revolution of 1688, London , 1836.
-Katz S. , the Decline of Rome and the rise of Mediaeval Europe , New York , 1955.
-Lot F., les Invasion Germaniums , Paris , 1935.
-Lyon Bryce & others , A History of western world ,vol .1, second edition , U.S.A , 1974.
-Margaret Densely , the Medieval church , London , 1926.
-Moss , the Birth of the Middle Ages, Oxford , 1947.
-Orton, out lines of Medieval History , Cambridge , 1929.
-Painter k.S., Wealth of Roman world Gold and silver A.D. 300-700, British museum , 1977.
-Painter S., A History of the Middle Ages ,284-1500, London,1940.
-Rainer Concise , Hist. of Britain, London , 1939.
-Stanton , English Society in Early Ages (1066-1307) , penguin , 1959 .
-Stenton S.F, Anglo-Saxon England, London, 1984.
-Stephenson C., Med Hist. , New York , 1943.
-Thompson J.W., History of the Middle Ages 300-1500, New York, 1922.
-Trevelyan .G-M. History of England ,London ,1936 .
-Wilson D, the Anglo-Saxon, London, 1972.
-white lock: the Beginning of England society (the Anglo-Saxon period) ,1959.
-Wood ward History of England, London , 1997,

ثالثا المراجع العربية:

-إبراهيم طرخان، تاكيتوس والشعوب الجرمانية، القاهرة، ١٩٥٩ .
-أ.ل. رواس : التاريخ الإنجليزي، ترجمة محمد مصطفي زيادة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٦.
-أدوارد جيبون اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها جـ٢، ترجمة محمد سليم سالم، مراجعة أحمد نجيب هاشم، ط٢، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٧.
-جوزيف داهموس: سبع مؤرخين في العصور الوسطي، ترجمة محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩.

-جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطي وحضاراتها ,الاسكندرية , ١٩٨٢.
-حسين مؤنس : أثر ظهور الإسلام في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البحر المتوسط، المجلة التاريخية، مايو ١٩٥١.
-زينب عبد المجيد عبد القوي : دور إنجلترا في الحروب الصليبية (١١٨٩ - ١٢٩١م)، رسالة ماجستير، ١٩٩٣، الزقازيق .
-سانت موس: ميلاد العصور الوسطي ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، السيد الباز العريني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الآلف الثاني ٢٨٥ ,القاهرة، ١٩٩٨.
-سعيد عبد الفتاح, عاشور: تاريخ اوربا في العصور الوسطي, أوربا في العصور الوسطي, التاريخ السياسي, ج١, ط٨, الانجلو المصرية, القاهرة, ١٩٨٣.
-فشر : تاريخ أوربا العصور القديمة، ترجمة إبراهيم نصحي وآخرون، دار المعارف، ١٩٥٠.
-مجدي وهبة : قدماء الإنجليز ملحمة بيولف، دار المعرفة، ١٩٦٤.
-محمود الحويري : رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية, دار المعارف, ط٣, ١٩٩٥.
-مصطفي الكناني: الغزو الجرماني للجزيرة البريطانية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٩٢.
-مصطفي حسن الكناني : عصر الملك أوفا الأنجلو سكسوني، الإسكندرية، ١٩٨٦م.
-نظير حسان سعداوي : تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨.
-نورمان كانتور:التاريخ الوسيط , ترجمة قاسم عبده قاسم, ج٢, ط٢, دار المعارف, القاهرة, ١٩٨٦.
-وليم وودثورب : الحضارة الهللينستية، ترجمة عبد العزيز جاويد، مراجعة زكي علي، القاهرة، ١٩٦٦.